الْأَمْرُ وَدَلَالَاتُهُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
-دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُقَارِنَةٌ-

The matter and its rhetorical indications in the Qur'an
Comparative analytical study

الدُّكْتُورُ زَكَرِيَّاءُ تُونَانِي ♣
الدُّكْتُورَةُ عَائِشَةُ مُحَمَّدِ زَيْنٍ*

تاريخ الإرسال: 2020/02/29	تاريخ القبول:2020/04/01	تاريخ النشر:2020/06/30

الملخص:

يتناول هذا البحث تعريف الأمر وتحقيق القول فيه؛ باستعراض بعض التعريفات المشهورة ونقدها؛ وفق ما تقتضيه صناعة الحدود. ثم خلص البحث إلى المقصود وهو الأغراض البلاغية للأمر ودلالاتها؛ واشتمل على جملة من الأغراض، مع توضيح الغرض الصحيح منه بمقارنة الأقوال في الآية ونقد ما يحتاج إلى نقد؛ للوصول إلى القول الراجح.

الكلمات المفتاحية:

الأمر ; البلاغية ; دلالاته ; القرآن ; تحليلية ; مقارنة ; دراسة

Abstract:

This research deals with the definition of the matter and the realization of it A review of some famous definitions and critiques; As required by the border industry. Then the research concluded the intended meaning and the rhetorical purposes of the order and its implications. It included a number of purposes, clarifying the correct purpose of it by comparing the sayings in the verse and criticizing what needs to be criticized; To reach the correct opinion.

key words :

The matter; Rhetoric; Its connotations; The Quran ; Analytical; Comparison ; a study

المؤلف المرسل: زَكَرِيَّاءُ تُونَانِي zakaria.tounani@gmail.com

* جَامِعَةُ الْجَوْفِ / السعودية zakaria.tounani@gmail.com
* جَامِعَةُ الْجَوْفِ / السعودية aishamumtaz474@gmail.com

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْأَمْرَ -وَكَذَلِكَ النَّهْيُ- مِنْ أَهَمِّ مَبَاحِثِ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَيَشْتَرِكُ فِي بَحْثِهِ الْبَلَاغِيُّونَ وَالْأُصُولِيُّونَ وَالْفُقَهَاءُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا مَنَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّرَخْسِيُّ[1]: «فَأَحَقُّ مَا يُبْدَأُ بِهِ فِي الْبَيَانِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ الِابْتِلَاءِ بِهِمَا، وَبِمَعْرِفَتِهِمَا تَتِمُّ مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ»[2].

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ لِلْوُقُوفِ عَلَى بَعْضِ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَّةِ لِلْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعَ مُنَاقَشَةِ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ وَالتَّرْجِيحِ بَيْنَ الْأَقَاوِيلِ، مُقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ تَحْقِيقَ الْقَوْلِ فِي حَدِّ الْأَمْرِ وَمُنَاقَشَةِ التَّعْرِيفِ الشَّائِعِ لَهُ، مُرْدِفِينَ ذَلِكَ بِصِيَغِ الْأَمْرِ.

*** تَعْرِيفُ الْأَمْرِ لُغَةً.**

يُطْلَقُ الْأَمْرُ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعَانٍ، مِنْهَا:

1- **طَلَبُ الْفِعْلِ**؛ وَهُوَ ضِدُّ النَّهْيِ[3]، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَخْلِيلِ اللِّحْيَةِ: «**هَكَذَا أَمَرَنِي رَبِّي**»[4]، وَيُجْمَعُ الْأَمْرُ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى أَوَامِرَ[5].

2- **الْفِعْلُ نَفْسُهُ**[6]، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ **[هُودٌ:73]** أَيْ: مِنْ فِعْلِهِ.

3- **الشَّأْنُ وَالْحَالُ**[7]، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**﴾ **[هُودٌ:97]** أَيْ: مَا شَأْنُهُ بِرَشِيدٍ، وَيُجْمَعُ الْأَمْرُ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى أُمُورٍ[8].

4- **الصِّفَةُ**[9]، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ[10]:

..... لِأَمْرٍ مَا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

أَيْ: لِأَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ.

وَذَكَرَ أَبُو الْبَقَاءِ الْكَفَوِيُّ[11] فِي كِتَابِهِ «**الْكُلِّيَّاتُ**»[12] مَعَانِيَ كَثِيرَةً لِلْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَكْثَرُهَا تَفْسِيرٌ عَلَى الْمَعْنَى لَا تَفْسِيرٌ عَلَى اللَّفْظِ.

*** تَعْرِيفُ الْأَمْرِ اصْطِلَاحًا.**

الْمَشْهُورُ فِي تَعْرِيفِ الْأَمْرِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ أَنَّهُ: **طَلَبُ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعْلَاءِ**[13].

وَهَذَا التَّعْرِيفُ فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتَمَيَّزُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ عَنِ النَّهْيِ.

ثَانِيًا: أَنَّ اشْتِرَاطَ الِاسْتِعْلَاءِ غَيْرُ دَقِيقٍ -إِنْ لَمْ يَكُنْ خَطَأً-.

أَمَّا **الْأَوَّلُ**؛ فَهُوَ أَنَّ التَّعْرِيفَ السَّابِقَ لَا يُمَيِّزُ الْأَمْرَ مِنَ النَّهْيِ؛ وَالْحُدُودُ يُشْتَرَطُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مَانِعَةً مِنْ دُخُولِ غَيْرِهَا فِيهَا. وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ:

إِنَّ قَوْلَهُمْ: «**طَلَبُ الْفِعْلِ**»، دَخَلَ فِيهِ نَحْوُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ **[الْكَوْثَرُ:2]**؛ لِأَنَّ فِيهِ طَلَبًا لِفِعْلِ الصَّلَاةِ.

وَدَخَلَ فِيهِ نَحْوُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ **[الْحُجُرَاتُ:2]**؛ لِأَنَّ فِيهِ طَلَبًا لِتَرْكِ رَفْعِ الصَّوْتِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّرْكُ: فِعْلٌ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ **[الْمَائِدَةُ:79]**، فَسَمَّى تَرْكَهُمْ لِلتَّنَاهِي فِعْلًا.

وَعَلَيْهِ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ فِي آيَةِ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ السَّابِقَةِ: إِنَّ فِيهَا طَلَبًا لِفِعْلٍ، فَيَنْطَبِقُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لَا تَرْفَعُوا**﴾ تَعْرِيفُ الْأَمْرِ السَّابِقُ، مَعَ أَنَّ الْبَلَاغِيِّينَ لَا يُسَمُّونَ مِثْلَ هَذَا أَمْرًا، بَلْ يُسَمُّونَهُ: نَهْيًا.

وَلِذَا عَدَلَ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ عَنْ هَذَا التَّعْرِيفِ إِلَى قَوْلِهِ: «**طَلَبُ فِعْلٍ غَيْرِ كَفٍّ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعْلَاءِ**»[14].

فَأَخْرَجَ مِنْ تَعْرِيفِ الْأَمْرِ: الْفِعْلَ الدَّالَّ عَلَى الْكَفِّ، وَالْفِعْلُ فِي النَّهْيِ دَالٌّ عَلَى الْكَفِّ.

لَكِنَّ هَذَا التَّعْرِيفَ -وَإِنْ خَرَجَ مِنَ الْإِشْكَالِ السَّابِقِ- إِلَّا أَنَّهُ يَرِدُ عَلَيْهِ إِشْكَالٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ تَعْرِيفَ السَّعْدِ غَيْرُ جَامِعٍ؛ مِنْ جِهَةِ إِخْرَاجِهِ لِبَعْضِ صُوَرِ الْأَمْرِ مِنَ التَّعْرِيفِ، وَهُوَ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِنَحْوِ: «دَعْ»، وَ«ذَرْ»؛ فَإِنَّهَا أَوَامِرُ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ، وَكَذَا عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ، وَهِيَ أَفْعَالٌ دَالَّةٌ عَلَى الْكَفِّ، وَتَعْرِيفُ السَّعْدِ يُخْرِجُهَا عَنْ حَدِّ الْأَمْرِ[15].

وَأَمَّا **الثَّانِي**؛ وَهُوَ اشْتِرَاطُ الِاسْتِعْلَاءِ، فَفِيهِ نَظَرٌ كَذَلِكَ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَسْمِيَةُ طَلَبِ الْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْلَاءٍ: أَمْرًا؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾ **[الشُّعَرَاءُ:34-35]**، مَعَ أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ أَعْلَى رُتْبَةً مِنْهُمْ[16]، «وَلَمْ يَكُونُوا لِيُخَاطِبُوهُ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعْلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ إِلَهًا وَرَبًّا، وَلَوْ كَانَ الِاسْتِعْلَاءُ شَرْطًا فِي الْأَمْرِ؛ لَمَا صَحَّ قَوْلُهُ لَهُمْ: ﴿**فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾»[17].

فَدَلَّ هَذَا عَلَى عَدَمِ اشْتِرَاطِ الِاسْتِعْلَاءِ[18].

* **وَالتَّعْرِيفُ الْمُخْتَارُ لِلْأَمْرِ أَنْ يُقَالَ: هُوَ قَوْلٌ يَتَضَمَّنُ طَلَبَ فِعْلٍ غَيْرِ كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بِغَيْرِ نَحْوِ «كُفَّ»**[19].

* **شَرْحُ التَّعْرِيف**:

- «**قَوْلٌ**» هَذَا جِنْسٌ فِي التَّعْرِيفِ، وَإِنَّمَا اخْتِيرَ «**الْقَوْلُ**» جِنْسًا فِي التَّعْرِيفِ؛ لِأَنَّ الْبَحْثَ فِي الْإِنْشَاءِ، وَالْإِنْشَاءُ أَحَدُ قِسْمَيِ الْكَلَامِ، وَالْكَلَامُ قَوْلٌ.

- «**يَتَضَمَّنُ طَلَبَ فِعْلٍ**» هَذَا يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ طَلَبِ فِعْلٍ، وَلَوْ تَرْكًا؛ إِذِ التَّرْكُ فِعْلٌ.

- «**غَيْرِ كَفٍّ**» هَذَا قَيْدٌ، أَخْرَجَ شَيْئَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مَا يُسَمَّى نَهْيًا عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ، نَحْوُ: ﴿**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾ **[الشُّعَرَاءُ:156]**.

الثَّانِي: الْأَمْرُ بِنَحْوِ: «**كُفَّ**»، وَ«**ذَرْ**»، وَهِيَ أَفْعَالُ الْأَمْرِ الدَّالَّةُ عَلَى التَّرْكِ وَالْكَفِّ.

وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ النَّوْعُ الثَّانِي دَاخِلًا فِي الْأَمْرِ؛ احْتِيجَ إِلَى قَيْدٍ لِإِبْقَائِهِ فِي التَّعْرِيفِ، فَقِيلَ:

- «**مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بِغَيْرِ نَحْوِ «كُفَّ»**» وَهَذَا وَصْفٌ لِلْكَفِّ الْمُخْرَجِ؛ أَيْ: أَنَّ الْأَمْرَ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ هُوَ مَا دَلَّ عَلَى طَلَبِ فِعْلٍ غَيْرِ كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بِغَيْرِ نَحْوِ كُفَّ، فَالْكَفُّ الْمُخْرَجُ مِنَ التَّعْرِيفِ هُوَ: الْكَفُّ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِـ«لَا» النَّاهِيَةِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى نَهْيًا عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ.

أَمَّا الْكَفُّ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِنَحْوِ «كُفَّ» فَلَم يُخْرَجْ مِنَ التَّعْرِيفِ؛ وَعَلَيْهِ فَ: «**اتْرُكْ**»، وَ«**دَعْ**»، وَ«**ذَرْ**» ... وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ: أَوَامِرُ، وَيَشْمَلُهَا التَّعْرِيفُ الْمُخْتَارُ.

وَبِهِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّعْرِيفَ الْمُخْتَارَ تَعْرِيفٌ جَامِعٌ مَانِعٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

* **صِيَغُ الْأَمْرِ**. لِلْأَمْرِ أَرْبَعُ صِيَغٍ، هِيَ:

* **أَوَّلًا: فِعْلُ الْأَمْرِ**.

1 - كَقَوْلِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[الْحَجُّ:77]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**ارْكَعُوا**»، وَ«**اسْجُدُوا**»، وَ«**اعْبُدُوا**»، وَ«**افْعَلُوا الْخَيْرَ**»؛ فَكُلُّهَا أَفْعَالُ أَمْرٍ لِلْجَمْعِ؛ وَالْمَأْمُورُ: «**الذِينَ آمَنُوا**» الذِي صُدِّرَتْ بِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مُقَابَلَةَ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ تَقْتَضِي الْقِسْمَةَ آحَادًا، أَيْ: أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُؤْمِنِينَ مُوَجَّهَةٌ لَهُ هَذِهِ الْأَوَامِرُ: «**ارْكَعْ**»، وَ«**اسْجُدْ**»، وَ«**اعْبُدْ**»، وَ«**افْعَلِ الْخَيْرَ**».

2- وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ **[مُحَمَّدٌ:19]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**اعْلَمْ**»، وَ«**اسْتَغْفِرْ**»؛ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا فِعْلُ أَمْرٍ، مُوَجَّهَانِ لِكَافَّةِ الْأُمَّةِ؛ وَقَدْ أُخْرِجَ الْكَلَامُ فِي صُورَةِ خِطَابِ الْوَاحِدِ؛ لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ وَاحِدٍ يَصْلُحُ خِطَابُهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِيَّةِ[20].

3 - وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ **[الْعَلَقُ:1]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**اقْرَأْ**»؛ فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ مُوَجَّهٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَالَةً، وَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ.

*** ثَانِيًا: الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ الْمَقْرُونُ بِلَامِ الْأَمْرِ.**

1- كَقَوْلِ اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ **[الْحَجُّ:29]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**لِيَقْضُوا**»، وَ«**لِيُوفُوا**»، وَ«**لِيَطَّوَّفُوا**»؛ فَإِنَّ كُلَّهَا أَفْعَالٌ مُضَارِعَةٌ، وَقَدْ قُرِنَتْ بِلَامِ الْأَمْرِ -أَوْ لَامِ الطَّلَبِ-، وَلِذَا جُزِمَ الْمُضَارِعُ مَعَهَا بِحَذْفِ النُّونِ.

2- وَكَقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**﴾ **[ص:57]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**فَلْيَذُوقُوهُ**»؛ فَهُوَ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِلَامِ الطَّلَبِ الْمُقْتَرِنَةِ بِهِ.

3- وَكَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**﴾ **[الطَّلَاقُ:7]**.

وَالشَّاهِدُ فِي «**لِيُنْفِقْ**»، «**فَلْيُنْفِقْ**»، فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مُضَارِعَانِ، مَجْزُومَانِ بِالسُّكُونِ؛ بِسَبَبِ دُخُولِ لَامِ الْأَمْرِ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا.

*** ثَالِثًا: اسْمُ فِعْلِ الْأَمْرِ.**

1- كَقَوْلِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ **[الْأَحْزَابُ:18]**.

وَ«**هَلُمَّ**» بِمَعْنَى: أَقْبِلُوا؛ وَهِيَ: اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ[21]، وَبِلُغَتِهِمْ وَرَدَ التَّنْزِيلُ، أَوْ فِعْلُ أَمْرٍ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ[22].

2- وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ **[الْحَاقَّةُ:19]**، وَ«**هَاؤُمْ**» اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَى: خُذُوا[23].

*** رَابِعًا: الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِ الْأَمْرِ.**

1- كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ **[مُحَمَّدٌ:4]**؛ قَالَ أَبُو حَيَّانَ[24]: «﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾: هَذَا مِنَ الْمَصْدَرِ النَّائِبِ مَنَابَ فِعْلِ الْأَمْرِ»[25].

2- وَكَقَوْلِهِ جلَّ فِي عَلْيَائِهِ: ﴿**فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ **[الْمُلْكُ:11]**، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَسُحْقًا**﴾؛ نُصِبَ عَلَى جِهَةِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ»[26].

*** مِنْ أَغْرَاضِ صِيَغِ الْأَمْرِ.**

إِنَّ الْأَغْرَاضَ التِي تَدُلُّ عَلَيْهَا صِيَغُ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، تَتَجَاوَزُ مَا يَذْكُرُهُ الْبَلَاغِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ، وَلِصَاحِبِ الذَّوْقِ الرَّفِيعِ الْوُقُوفُ عَلَى أَغْرَاضٍ لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ أَنْ كَشَفَ عَنْ مُعَمَّاهَا، وَالضَّابِطُ فِي تَعْيِينِ الْغَرَضِ مِنْهَا: السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ.

وَسَنَذْكُرُ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ مَعَ التَّمْثِيلِ لَهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الْغَرَضُ الْأَوَّلُ: الدُّعَاءُ.

لِلدُّعَاءِ مَعَانٍ فِي اللُّغَةِ وَاسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا:

الدُّعَاءُ بِمَعْنَى النِّدَاءِ وَطَلَبِ الْإِقْبَالِ، تَقُولُ: دَعَوْتُ زَيْدًا؛ إِذَا نَادَيْتَهُ وَطَلَبْتَ إِقْبَالَهُ[27].

وَبِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ، تَقُولُ: دَعَوْتُ ابْنِي زَيْدًا؛ إِذَا سَمَّيْتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ **[النُّورُ:63]**، «حَثًّا عَلَى تَعْظِيمِهِ، وَذَلِكَ مُخَاطَبَةُ مَنْ كَانَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ»[28].

وَبِمَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ **[غَافِرٌ:60]** أَيِ: اعْبُدُونِي[29]، بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ **[غَافِرٌ:60]**.

وَبِمَعْنَى السُّؤَالِ[30]، تَقُولُ: دَعَوْتُ فُلَانًا؛ إِذَا سَأَلْتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**﴾ **[الْبَقَرَةُ:68]**، أَيْ: سَلْهُ[31].

أَمَّا **الدُّعَاءُ فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ** فَهُوَ: الطَّلَبُ عَلَى سَبِيلِ التَّضَرُّعِ، أَيِ: التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ[32].

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾ **[طَهَ:25-35]**.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى سِتَّةِ أَفْعَالِ أَمْرٍ؛ وَهِيَ: ﴿**اشْرَحْ**﴾، ﴿**وَيَسِّرْ**﴾، ﴿**وَاحْلُلْ**﴾، ﴿**وَاجْعَلْ**﴾، ﴿**اشْدُدْ**﴾، ﴿**وَأَشْرِكْهُ**﴾، وَالْغَرَضُ مِنْ جَمِيعِهَا: الدُّعَاءُ؛ لِأَنَّهَا أَفْعَالُ أَمْرٍ صَدَرَتْ عَلَى سَبِيلِ التَّضَرُّعِ[33] -إِذْ هِيَ صَادِرَةٌ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ- ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الدُّعَاءِ.

ثَانِيًا: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ **[الشُّعَرَاءُ:83-86]**.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَضَمَّنَتْ خَمْسَةَ أَفْعَالِ أَمْرٍ؛ هِيَ: ﴿هَبْ﴾، ﴿وَأَلْحِقْنِي﴾، ﴿وَاجْعَلْ﴾، ﴿وَاجْعَلْنِي﴾، ﴿وَاغْفِرْ﴾، الْغَرَضُ مِنْهَا كُلِّهَا: الدُّعَاءُ[34].

ثَالِثًا: قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ **[نُوحٌ:28]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اغْفِرْ**﴾؛ فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ الدُّعَاءُ[35].

لِأَنَّهُ طَلَبَ أَنْ يُعْطِيَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّفَضُّلِ وَالْإِحْسَانِ[36].

الْغَرَضُ الثَّانِي: الِالْتِمَاسُ.

الِالْتِمَاسُ **لُغَةً**: الطَّلَبُ، وَالتَّلَمُّسُ: التَّطَلُّبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى[37].

وَأَمَّا الِالْتِمَاسُ **فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ** فَهُوَ: الطَّلَبُ عَلَى سَبِيلِ التَّلَطُّفِ مِنْ مُسَاوٍ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْقَزْوِينِيُّ فِي «**الْإِيضَاحِ**»: «**وَالِالْتِمَاسُ**: إِذَا اسْتُعْمِلَتْ [38] فِيهِ [39] عَلَى سَبِيلِ التَّلَطُّفِ؛ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ فِي الرُّتْبَةِ «**افْعَلْ**» بِدُونِ اسْتِعْلَاءٍ»[40].

مِثَالُهُ: قَالَ اللهُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾ **[الْكَهْفُ:19]**.

هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوَامِرَ: فِعْلُ أَمْرٍ وَاحِدٌ ﴿**فَابْعَثُوا**﴾، وَثَلَاثَةُ أَفْعَالٍ مُضَارِعَةٍ مَقْرُونَةٍ بِلَامِ الْأَمْرِ ﴿**فَلْيَنْظُرْ**﴾، ﴿**فَلْيَأْتِكُمْ**﴾، ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾.

فَهَذِهِ أَوَامِرُ الْغَرَضُ مِنْهَا الِالْتِمَاسُ؛ إِذْ هِيَ صَادِرَةٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ لِبَعْضِهِمُ الْآخَرِ، وَهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي الرُّتْبَةِ.

وَالْمَقْصُودُ بِالتَّسَاوِي فِي الرُّتْبَةِ، أَيْ: فِي ظَاهِرِ الْحَالِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَبِيًّا أَوْ مَلِكًا -مَثَلًا- ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ تَسَاوِيَ رُتَبِهِمْ عِنْدَ اللهِ؛ فَهَذَا شَيْءٌ لَا سَبِيلَ لِلْوُقُوفِ عَلَيْهِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْغَرَضُ الثَّالِثُ: النُّصْحُ وَالْإِرْشَادُ.

وَمَادَّةُ «**نَصَحَ**» فِي اللُّغَةِ: «أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُلَاءَمَةِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَإِصْلَاحٍ لَهُمَا، ... وَمِنْهُ النُّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ: خِلَافُ الْغِشِّ»[41]، وَالنُّصْحُ: بَذْلُ الِاجْتِهَادِ فِي الْمَشُورَةِ[42].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالنُّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ حُسْنِ النِّيَّةِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»[43].

وَأَمَّا **الْإِرْشَادُ** فَهُوَ: الْهِدَايَةُ وَالدِّلَالَةُ[44].

وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا: التَّنْبِيهُ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ[45].

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ بَيْنَ النُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ عُمُومًا وَخُصُوصًا مُطْلَقًا؛ فَالنُّصْحُ يَعُمُّ الْمَصَالِحَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأُخْرَوِيَّةَ، وَأَمَّا الْإِرْشَادُ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

وَقَدْ يَتَقَارَضَانِ[46].

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ **[غَافِرٌ:38]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اتَّبِعُونِ**﴾ فَإِنَّهُ أَمْرٌ، الْغَرَضُ مِنْهُ النُّصْحُ وَالْإِرْشَادُ.

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيُّ[47]: «ثُمَّ عَادَ سُبْحَانَهُ إِلَى حِكَايَةِ قَوْلِ الْمُؤْمِنِ، وَأَنَّهُ أَجْمَلَ النَّصِيحَةَ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ: ﴿**اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ**﴾، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ مُفَصِّلًا قَائِلًا: ﴿**إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ**﴾ **[غَافِرٌ:39]** ....»[48].

وَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ؛ فَإِنَّهَا فِي سِيَاقِ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ[49]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثَانِيًا: قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ **[الْمُلْكُ:3]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ**﴾، فَالْأَمْرُ هُنَا لِمُخَاطَبٍ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْخِطَابَ يَكُونُ لِمُعَيَّنٍ، وَلَكِنْ خَرَجَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ لِيَشْمَلَ كُلَّ مَنْ يَصْلُحُ خِطَابُهُ[50] -عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمُومِ الْبَدَلِيِّ[51]-، وَهُوَ أُسْلُوبٌ بَلَاغِيٌّ مَعْرُوفٌ، وَلَهُ نَظَائِرُ قُرْآنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَأَشَارَ إِلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ **ابْنُ الشِّحْنَةِ**[52] بِقَوْلِهِ:

وَالْأَصْلُ فِي الْخِطَابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالتَّرْكُ فِيهِ لِلْعُمُومِ الْبَيِّنِ[53]

وَالْأَمْرُ فِي ﴿**فَارْجِعِ**﴾ يَدْخُلُ فِيهِ صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ: الْمُؤْمِنُونَ وَالْكُفَّارُ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: الْإِرْشَادُ الْمَحْضُ فِي جَانِبِ الْكُفَّارِ، وَالْإِرْشَادُ مَعَ الْوُجُوبِ فِي جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ «فَإِنَّ النَّظَرَ فِي أَدِلَّةِ الصِّفَاتِ وَاجِبٌ لِمَنْ عَرَضَ لَهُ دَاعٍ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ»[54]. كَذَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ فِي جَانِبِ الْكُفَّارِ لِلْإِرْشَادِ مَعَ الْوُجُوبِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ التَّفَكُّرَ فِي الْمَوْجُودَاتِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى مُوجِدِهَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِقْرَارُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَهُوَ وَاجِبٌ فِي حَقِّهِمْ بِالْإِجْمَاعِ[55]، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ[56]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْغَرَضُ الرَّابِعُ: الْمَشُورَةُ[57].

وَالْمَشُورَةُ: طَلَبُ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ[58].

وَعَرَّفَهَا جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ بِقَوْلِهِ: «**الْمُشَاوَرَةُ**: اسْتِنْبَاطُ الرَّأْيِ مِنَ الْغَيْرِ فِيمَا يَعْرِضُ مِنْ مُشْكِلَاتِ الْأُمُورِ الْجُزْئِيَّةِ»[59].

وَالتَّعْرِيفَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَقْصُودِ.

*** الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾ **[النَّمْلُ:32]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**﴾؛ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ خَرَجَ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ، إِلَى مَعْنَى الْمُشَاوَرَةِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ جَوَابُهُمْ: ﴿**قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾ **[النَّمْلُ:33]**.

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ[60]: «أَخَذَتْ فِي الْمُشَاوَرَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْبَصِيرَةِ»[61].

وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، كَالنَّسَفِيِّ[62]، وَابْنِ عَاشُورٍ[63]، وَابْنِ سَعْدِيٍّ[64]، وَالْقَاسِمِيِّ[65]، وَالْمَرَاغِيِّ[66]، وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ.

ثَانِيًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ **[الصَّافَّاتُ:102]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾؛ فَهُوَ أَمْرٌ يُرَادُ بِهِ: الْمُشَاوَرَةُ، كَمَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ[67] وَغَيْرُهُ[68].

قَالَ أَبُو السُّعُودِ: «وَإِنَّمَا شَاوَرَهُ فِيهِ وَهُوَ أَمْرٌ مَحْتُومٌ؛ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ فِيمَا نَزَلَ مِنْ بَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُثَبِّتَ قَدَمَهُ إِنْ جَزِعَ، وَيَأْمَنَ عَلَيْهِ إِنْ سَلَّمَ»[69].

الْغَرَضُ الْخَامِسُ: الْإِلْهَابُ وَالتَّهْيِيجُ.

وَهَذَا الْغَرَضُ قَلِيلٌ ذِكْرُهُ فِي كُتُبِ الْبَلَاغِيِّينَ، وَإِنْ كَثُرَ نِسْبِيًّا عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ الذِينَ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِالْجَانِبِ الْبَلَاغِيِّ فِي التَّفْسِيرِ.

قَالَ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ[70] فِي «**الطِّرَازِ**»: «**الْإِلْهَابُ**: «**إِفْعَالٌ**»، مِنْ قَوْلِهِمْ: «أَلْهَبَ النَّارَ»؛ إِذَا أَسْعَرَهَا حَتَّى الْتَهَبَتْ وَطَالَ لَهَبُهَا، وَ**التَّهْيِيجُ**: «**تَفْعِيلٌ**»، مِنْ قَوْلِهِمْ: «هَاجَتِ الْحَرْبُ»؛ إِذَا ثَارَتْ، هَذَا مَعْنَاهُمَا فِي اللُّغَةِ.

وَأَمَّا فِي مُصْطَلَحِ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ فَهُمَا مَقُولَانِ عَلَى: **كُلِّ كَلَامٍ دَالٍّ عَلَى الْحَثِّ عَلَى الْفِعْلِ لِمَنْ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ تَرْكُهُ، وَعَلَى تَرْكِ الْفِعْلِ لِمَنْ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ فِعْلُهُ**، وَلَكِنْ يَكُونُ صُدُورُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِمَّنْ هَذِهِ حَالُهُ عَلَى جِهَةِ الْإِلْهَابِ وَالتَّهْيِيجِ لَهُ عَلَى الْفِعْلِ أَوِ الْكَفِّ لَا غَيْرَ»[71].

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ **[الزُّمَرُ:2]**.

ثَانِيًا: قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ **[الرُّومُ:30]**.

وَالشَّاهِدُ مِنَ الْآيَتَيْنِ قَوْلُهُ: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ**﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ**﴾، فَهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ، وَالْخِطَابُ فِيهِمَا يَحْتَمِلُ احْتِمَالَيْنِ:

<u>الْأَوَّلُ</u>: أَنَّ الْخِطَابَ لِمُعَيَّنٍ عَلَى الْأَصْلِ، وَهُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخِطَابُ لَهُ خِطَابٌ لِأُمَّتِهِ جَمِيعًا[72]، كَمَا قَالَ فِي **الْمَرَاقِي**:

وَمَا بِهِ قَدْ خُوطِبَ النَّبِيُّ تَعْمِيمُهُ فِي الْمَذْهَبِ: السَّنِيُّ[73]

فَالْخِطَابُ الْمُتَوَجِّهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَادُ بِهِ الْإِلْهَابُ وَالتَّهْيِيجُ؛ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْكُهُ لِعِبَادَةِ اللهِ مُخْلِصًا، أَوْ تَرْكُهُ لِإِقَامَةِ وَوْجِهِهِ لِلدِّينِ حَنِيفًا، قَالَ الْعَلَوِيُّ: «وَالْمَعْلُومُ مِنْ حَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ حَاصِلٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِقَامَةِ وَجْهِهِ لِلدِّينِ .... لَا يَفْتُرُ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ خِلَافُهَا؛ لِأَنَّ خِلَافَهَا مَعْصُومٌ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ، فَلَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ مِنْ جِهَتِهِمْ بِحَالٍ، وَلَكِنَّ وُرُودَهَا عَلَى هَذِهِ الْأَوَامِرِ إِنَّمَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الْحَثِّ لَهُ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ وَأَمْثَالِهَا»[74].

وَالْخِطَابُ لِأُمَّتِهِ -وَهُمْ تَبَعٌ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْرٌ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِانْتِفَاءِ الْمَعْصُومِ فِيهِمْ بِاعْتِبَارِ الْأَفْرَادِ، وَإِنْ كَانُوا مَعْصُومِينَ بِاعْتِبَارِ الِاجْتِمَاعِ.

<u>الثَّانِي</u>: أَنَّ الْخِطَابَ خَرَجَ عَنْ أَصْلِهِ فِي خِطَابِ الْمُعَيَّنِ، إِلَى قَصْدِ الْعُمُومِ؛ أَيْ: عُمُومِ مَنْ يَصِحُّ خِطَابُهُ -عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ-.

وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى أَصْلِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كِلَيْهِمَا صَوَابٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَيْهِمَا مَعًا؛ مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُشْتَرَكِ عَلَى مَعْنَيَيْهِ أَوْ مَعَانِيهِ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ أَوْلَى؛ لِأَنَّ فِيهِ إِبْقَاءً لِضَمِيرِ الْخِطَابِ عَلَى أَصْلِ دَلَالَتِهِ فِي الْمُعَيَّنِ، بِخِلَافِ الثَّانِي؛ فَإِنَّهُ خُرُوجٌ عَنِ الْأَصْلِ، وَالْمَعْنَى الْمُبْقِي عَلَى الْأَصْلِ أَوْلَى مِنَ النَّاقِلِ عَنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْغَرَضُ السَّادِسُ: التَّمَنِّي.

التَّمَنِّي لُغَةً: تَشَهِّي حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ[75].

وَأَمَّا التَّمَنِّي فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ؛ فَهُوَ: طَلَبُ الْأَمْرِ الْمَحْبُوبِ الذِي لَا يُرْجَى حُصُولُهُ، إِمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا، وَإِمَّا لِكَوْنِهِ مُمْكِنًا غَيْرَ مَطْمُوعٍ فِيهِ[76].

*** مِثَالُهُ:**

قَوْلُ اللهِ عزَّ وَجَلَّ: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ **[الْمُؤْمِنُونَ:99-100]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**ارْجِعُونِ**﴾، وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ دُعَاءً مَحْضًا؛ لِأَنَّهُ طَلَبٌ صَادِرٌ مِنْ عَبْدٍ لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الدُّعَاءِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ دُعَاءً مُشْرَبًا بِالتَّمَنِّي.

أَمَّا كَوْنُهُ دُعَاءً؛ فَلِمَا تَقَدَّمَ. وَأَمَّا كَوْنُهُ تَمَنِّيًا؛ فَلِكَوْنِ الطَّلَبِ وَاقِعًا عَلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ لَا يُرْجَى حُصُولُهُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَاصِلُ مَعْنَاهُ: أَنَّ قَوْلَ الْمُشْرِكِ ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ ... إِلَخْ، لَا يَتَجَاوَزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا صَدَرَ مِنْ لِسَانِهِ لَا جَدْوَى لَهُ فِيهِ، أَيْ: لَا يُسْتَجَابُ طَلَبُهُ بِهِ»[77].

وَالِاحْتِمَالُ الثَّانِي أَصَحُّ وَأَوْلَى لِأَمْرَيْنِ:

1- لِأَنَّ فِيهِ إِعْمَالًا لِلْحَقِيقَتَيْنِ -حَقِيقَتَيِ الدُّعَاءِ وَالتَّمَنِّي-، بِخِلَافِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنَّ فِيهِ إِلْغَاءً لِلتَّمَنِّي مَعَ وُجُودِ حَقِيقَتِهِ.

2- وَلِأَنَّ فِيهِ إِثْرَاءً لِلْمَعَانِي الْقُرْآنِيَّةِ.

الْغَرَضُ السَّابِعُ: التَّسْخِيرُ.

وَالتَّسْخِيرُ هُوَ تَبْدِيلُ اللهِ الشَّيْءَ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى فِيهَا مَهَانَةٌ وَمَذَلَّةٌ[78].

وَصَوَّبَ الزَّرْكَشِيُّ[79] تَسْمِيَتَهُ بِـ: «**السُّخْرِيَّةِ**» بَدَلَ «**التَّسْخِيرِ**»[80]، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِـ «أَنَّ السُّخْرِيَةَ: الْهُزْءُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾

[هُودٌ:38]، وَأَمَّا التَّسْخِيرُ فَهُوَ نِعْمَةٌ وَإِكْرَامٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ **[إِبْرَاهِيمُ:33]**»[81].

وَأَجَابَ عَنْ هَذَا **الْعَطَّارُ**[82] فِي «**حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الْمَحَلِّيِّ عَلَى جَمْعِ الْجَوَامِعِ**» بِأَنَّ التَّسْخِيرَ يُسْتَعْمَلُ أَيْضًا بِمَعْنَى التَّذْلِيلِ وَالِامْتِهَانِ[83].

* **مِثَالُهُ**: لَمْ نَجِدْ لَهُ مِثَالًا صَرِيحًا إِلَّا مَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ **[الْمُرْسَلَاتُ:29]**؛ فَقَالَ: «وَالْأَمْرُ بِانْطِلَاقِهِمْ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّسْخِيرِ؛ لِأَنَّهُمْ تَنْطَلِقُ بِهِمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ قَسْرًا»[84].

فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا يَصْلُحُ مِثَالًا لِلتَّسْخِيرِ؛ إِذْ هُوَ تَبْدِيلٌ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى فِيهَا مَهَانَةٌ وَمَذَلَّةٌ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: «يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا يَصْلُحُ مِثَالًا لِلتَّسْخِيرِ»، وَلَمْ أَجْزِمْ بِذَلِكَ، مَعَ أَنَّ الْعَلَّامَةَ ابْنَ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ صَرَّحَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ يَسْتَعْمِلُ «**التَّسْخِيرَ**» فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مُرَادًا بِهِ «**التَّكْوِينُ**»[85].

وَقَدْ جَرَيْنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ عَلَى أَنَّ «**التَّسْخِيرَ**»: مَا تَقَدَّمَ، وَبِهِ يَخْتَلِفُ عَنِ «**التَّكْوِينِ**»؛ لِأَنَّهُ سُرْعَةُ الْإِيجَادِ مِنَ الْعَدَمِ[86]، فَافْتَرَقَا.

الْغَرَضُ الثَّامِنُ: الْإِبَاحَةُ.

الْإِبَاحَةُ لُغَةً: مَصْدَرُ «**أَبَاحَ**»، تَقُولُ: أَبَحْتُكَ الشَّيْءَ؛ إِذَا أَحْلَلْتَهُ، وَأَبَحْتُهُ: أَظْهَرْتُهُ، وَالْإِبَاحَةُ: ضِدُّ الْحُرْمَةِ[87].

وَأَمَّا الْإِبَاحَةُ اصْطِلَاحًا؛ فَهِيَ: «طَلَبُ إِتْيَانِ أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ لَا عَلَى سَبِيلِ مَنْعِ الْجَمْعِ»[88].

وَهَذَا التَّعْرِيفُ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ يُوهِمُ أَنَّ الْإِبَاحَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِ شَيْئَيْنِ اثْنَيْنِ، وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ **[الْمُؤْمِنُونَ:51]** -وَسَيَأْتِي-، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلْإِبَاحَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ لِاثْنَيْنِ.

وَالْأَوْلَى فِي تَعْرِيفِهِ أَنْ يُقَالَ: **طَلَبُ إِتْيَانِ شَيْءٍ فِي مَقَامٍ يَتَوَهَّمُ السَّامِعُ فِيهِ حَظْرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ**. وَاللهُ أَعْلَمُ.

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ**﴾ **[الْحَجُّ:36]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَكُلُوا**﴾؛ فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ الْإِبَاحَةُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ[89] رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا**﴾، وَهَذَا مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: الْإِبَاحَةُ وَالْإِطْلَاقُ؛ يَقُولُ اللهُ: فَإِذَا نُحِرَتْ فَسَقَطَتِ مَيِّتَةً بَعْدَ النَّحْرِ؛ فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ أَكْلُهَا، وَلَيْسَ بِأَمْرِ إِيجَابٍ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ يَقُولُ فِي ذَلِكَ ...: الْمُشْرِكُونَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ، فَرُخِّصَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَنْ شَاءَ أَكَلَ وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَأْكُلْ»[90].

ثَانِيًا: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ **[الْمُؤْمِنُونَ:51]**.

فَقَدِ اشْتَمَلَ عَلَى صِيغَةٍ مِنْ صِيَغِ الْأَمْرِ؛ وَهُوَ ﴿**كُلُوا**﴾؛ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ: الْإِبَاحَةُ[91].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**كُلُوا**﴾ لِلْإِبَاحَةِ، وَإِنْ كَانَ الْأَكْلُ أَمْرًا جِبِلِّيًّا لِلْبَشَرِ، إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا لَازِمُهُ؛ وَهُوَ إِعْلَامُ الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّ الْأَكْلَ لَا يُنَافِي الرِّسَالَةَ، وَأَنَّ الذِي أَرْسَلَ الرُّسُلَ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ»[92].

وَالْقَرِينَةُ الَّتِي صَرَفَتِ الْأَمْرَ مِنْ دَلَالَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ إِلَى الْإِبَاحَةِ هِيَ: الْإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْأَكْلِ[93].

وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الدَّلَالَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْأَمْرِ وَبَيْنَ الْإِبَاحَةِ: الْمُشَابَهَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ لِأَنَّهُمَا مُشْتَرِكَانِ فِي مُطْلَقِ الْإِذْنِ[94].

ثَالِثًا: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[الْجُمُعَةُ:10]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَانْتَشِرُوا**﴾، ﴿**وَ ابْتَغُوا**﴾؛ فَإِنَّهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ، وَالْغَرَضُ مِنْهُمَا الْإِبَاحَةُ، وَذَلِكَ لِوُرُودِهِمَا بَعْدَ الْحَظْرِ.

وَوُرُودُ الْأَمْرِ بَعْدَ الْحَظْرِ: أَيَدُلُّ عَلَى الْإِبَاحَةِ؟ أَمْ يَرُدُّ الْمَأْمُورَ بِهِ إِلَى حَالِهِ قَبْلَ الْحَظْرِ؟ فِيهِ خِلَافٌ[95]، وَعَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي الْآيَةِ -هَهُنَا- لِلْإِبَاحَةِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ[96] رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[الْجُمُعَةُ:10]**، هَذَا مَعْنَاهُ الْإِبَاحَةُ، لَيْسَ مَعْنَاهُ: إِذَا انْقَضَتِ الصَّلَاةُ وَجَبَ أَنْ يَتَّجِرَ الْإِنْسَانُ، كَمَا قَالَ: ﴿**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**﴾ **[الْمَائِدَةُ:2]**، فَلَيْسَ عَلَى مَنْ حَلَّ مِنْ إِحْرَامٍ أَنْ يَصْطَادَ إِنَّمَا هُوَ مُبَاحٌ لَهُ، مِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْكَلَامِ: إِذَا حَضَرْتَنِي فَلَا تَنْطِقْ، وَإِذَا غِبْتَ عَنِّي فَتَكَلَّمْ بِمَا شِئْتَ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ الْإِبَاحَةُ»[97].

الْغَرَضُ التَّاسِعُ: التَّخْيِيرُ.

وَهُوَ: إِذْنٌ[98] **فِي أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ لَا عَلَى التَّعْيِينِ**.

وَبِهَذَا التَّعْرِيفِ يَتَّضِحُ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّخْيِيرِ وَبَيْنَ الْإِبَاحَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِبَاحَةَ -عَلَى الْمَشْهُورِ-: تَرْدِيدُ الْأَمْرِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، وَأَمَّا التَّخْيِيرُ: فَهُوَ تَرْدِيدُ الْأَمْرِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَلَا يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا[99].

وَظَاهِرُ صَنِيعِ الدُّكْتُورِ فَضْلِ حَسَنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللهُ -مِنْ أَمْثِلَتِهِ- أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِبَاحَةِ وَالتَّخْيِيرِ بِالْحَرْفِ الذِي يَكُونُ بَعْدَ الْأَمْرِ؛ فَأَمْرُ الْإِبَاحَةِ يُعَقَّبُ بِالْوَاوِ، وَأَمْرُ التَّخْيِيرِ يُعَقَّبُ بِأَوْ[100]. وَفِيهِ بَحْثٌ.

* **مِثَالُهُ:﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [الْمُزَّمِّلُ:2-4]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا**﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾؛ فَإِنَّهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ يُرَادُ بِهِمَا: التَّخْيِيرُ[101]، قَالَ النَّسَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «﴿**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾ عَلَى النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثَيْنِ، وَالْمُرَادُ: التَّخْيِيرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ بَيْنَ أَنْ يَقُومَ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ عَلَى الْبَتِّ، وَبَيْنَ أَنْ يَخْتَارَ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ؛ وَهُمَا النُّقْصَانُ مِنَ النِّصْفِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ»[102].

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾؛ فَالْأَمْرُ فِيهِ لِلْوُجُوبِ عَلَى الْأَصْلِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نُسِخَ الْوُجُوبُ[103].

الْغَرَضُ الْعَاشِرُ: التَّسْوِيَةُ.

التَّسْوِيَةُ لُغَةً؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَوَى الشَّيْئَانِ وَتَسَاوَيا؛ أَيْ: تَمَاثَلا، وسَوَّيْتُهُ بِهِ تَسْوِيَةً: مَاثَلْتُهُ بِهِ[104].

تُسْتَعْمَلُ صِيغَةُ الْأَمْرِ مُرَادًا بِهَا التَّسْوِيَةُ -عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ-: فِي مَقَامِ تَوَهُّمِ رُجْحَانِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ عَلَى الْآخَرِ[105].

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطُّورُ:16]**.

وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ: ﴿**فَاصْبِرُوا**﴾ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ؛ الْغَرَضُ مِنْهُ: التَّسْوِيَةُ[106]، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا يُتَوَهَّمُ أَنَّ الصَّبْرَ نَافِعٌ لِلْكُفَّارِ فِي عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَدَفَعَ ذَلِكَ بِالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَعَدَمِهِ[107].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفُرِّعَ عَلَى ﴿**اصْلَوْهَا**﴾ أَمْرٌ لِلتَّسْوِيَةِ بَيْنَ صَبْرِهِمْ عَلَى حَرِّهَا وَبَيْنَ عَدَمِ الصَّبْرِ وَهُوَ الْجَزَعُ؛ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا لَا يُخَفِّفَانِ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ **[إِبْرَاهِيمُ:21]**؛ لِأَنَّ جُرْمَهُمْ عَظِيمٌ لَا مَطْمَعَ فِي تَخْفِيفِ جَزَائِهِ»[108].

وَالْقَرِينَةُ: ظُهُورُ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ طَلَبَ الصَّبْرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿**أَوْ لَا تَصْبِرُوا**﴾، وَإِلَّا لَكَانَ طَلَبًا لَهُ وَنَهْيًا عَنْهُ![109].

وَيُمْكِنُ اسْتِفَادَةُ التَّسْوِيَةِ -أَيْضًا- مِنْ ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**﴾؛ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي ذَلِكَ.

وَعَلَيْهِ فَالتَّسْوِيَةُ فِي الْآيَةِ تُفْهَمُ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مِنَ الْقَرِينَةِ الْمَذْكُورَةِ.

الثَّانِي: مِنْ لَفْظَةِ ﴿**سَوَاءٌ**﴾.

ثَانِيًا: قَالَ اللهُ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ **[الْمُلْكُ:13]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَأَسِرُّوا**﴾ وَ﴿**اجْهَرُوا**﴾؛ فَهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ يُرَادُ بِهِمَا: التَّسْوِيَةُ[110]، ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾؛ يَقُولُ: إِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِضَمَائِرِ الصُّدُورِ الَّتِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا، فَكَيْفَ بِمَا نَطَقَ بِهِ وَتَكَلَّمَ بِهِ؟ أُخْفِيَ ذَلِكَ أَوْ أُعْلِنَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُ الصُّدُورِ فَغَيْرُهَا أَحْرَى أَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ»[111].

وَهَذَا الْغَرَضُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ إِذَا جَاءَتْ مَعَهَا «أَوْ» الَّتِي تَعْطِفُ نَقِيضَ أَحَدِ الْفِعْلَيْنِ عَلَى نَقِيضِهِ[112].

الْغَرَضُ الْحَادِي عَشَرَ: الِاعْتِبَارُ.

الِاعْتِبَارُ لُغَةً: الِاتِّعَاظُ وَالتَّدَبُّرُ[113]، وَقِيَاسُ مَا غَابَ عَلَى مَا ظَهَرَ[114].

وَالِاعْتِبَارُ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ لَا يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ.

*** الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ **[النَّمْلُ:69]**.

ثَانِيًا: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ**﴾ **[الرُّومُ:42]**.

وَالشَّاهِدُ مِنَ الْآيَتَيْنِ: ﴿**فَانْظُرُوا**﴾ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ: أَخْذُ الْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الِاعْتِبَارِ تَصْدُقُ عَلَيْهِ وَهِيَ: النَّظَرُ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى شَيْءٍ آخَرَ.

وَالنَّظَرُ فِي الْآيَةِ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ[115]:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ قَلْبِيًّا.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ بَصَرِيًّا.

فَعَلَى الِاحْتِمَالِ الْأَوَّلِ؛ فَوَاضِحٌ وَظَاهِرٌ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَمْرِ: الِاعْتِبَارُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْقَلْبِيِّ.

وَعَلَى الِاحْتِمَالِ الثَّانِي؛ فَيُحْمَلُ الْأَمْرُ عَلَى الِاعْتِبَارِ أَيْضًا، وَالْقَرِينَةُ الصَّارِفَةُ لِلْأَمْرِ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ: ظُهُورُ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ أَمْرَ الْمُخَاطَبِ بِالنَّظَرِ إِلَى دِيَارِ تِلْكَ الْأُمَمِ[116] مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ حِكْمَةٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَبَثٌ[117].

وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ فِي نَظِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ **[الْأَنْعَامُ:11]**؛ إِذْ قَالَ: «﴿**قُلْ**﴾ لَهُمْ ﴿**سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ الرُّسُلَ مِنْ هَلَاكِهِمْ بِالْعَذَابِ؛ لِيَعْتَبِرُوا»[118].

الْغَرَضُ الثَّانِي عَشَرَ: التَّعْجِيزُ.

التَّعْجِيزُ لُغَةً: التَّثْبِيطُ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى الْعَجْزِ[119].

وَاصْطِلَاحًا: إِظْهَارُ عَجْزِ الْمُدَّعِي؛ وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ.

وَتُسْتَعْمَلُ صِيغَةُ الْأَمْرِ مُرَادًا بِهَا التَّعْجِيزُ: فِي مَقَامِ إِظْهَارِ عَجْزِ مَنْ يَدَّعِي الْقُدْرَةَ عَلَى مَا يَعْجِزُ عَنْهُ[120].

*** الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **[الْأَحْقَافُ:4]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَرُونِي**﴾ وَ﴿**ائْتُونِي**﴾، فَإِنَّهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ يُرَادُ بِهِمَا التَّعْجِيزُ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يُنْبِئَ عَنْ وُجُودِ خَلْقٍ خَلَقَهُ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِتْيَانِ بِكِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ الْمُنْزَلَةِ تُؤَيِّدُ شِرْكَهُمْ؛ إِذْ كُتُبُ اللهِ كُلُّهَا نَاطِقَةٌ بِالتَّوْحِيدِ[121].

فَفِي الْأَمْرَيْنِ تَعْجِيزٌ لَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِسَنَدٍ نَقْلِيٍّ كَعَجْزِهِمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِسَنَدٍ عَقْلِيٍّ[122].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْأَمْرُ فِي ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّسْخِيرِ وَالتَّعْجِيزِ، كِنَايَةٌ عَنِ النَّفْيِ: إِنْ لَمْ يَخْلُقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا فَلَا تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُرُونِي شَيْئًا خَلَقُوهُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا من رُؤُوس مَسَائِلِ الْمُنَاظَرَةِ، وَهُوَ مُطَالَبَةُ الْمُدَّعِي بِالدَّلِيلِ عَلَى إِثْبَاتِ دَعْوَاهُ»[123].

ثَانِيًا: قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴾ **[الرَّحْمَنُ:33]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَانْفُذُوا**﴾، فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ التَّعْجِيزُ[124]؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى النَّفَاذِ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِذِ السِّيَاقُ فِيهِ، بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ: ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ**﴾ **[الرَّحْمَنُ:31]**، وَمَا بَعْدَهُ: ﴿**فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ**﴾ **[الرَّحْمَنُ:37-39]**.

وَيُؤَيِّدُ حَمْلَ الْأَمْرِ فِي الْآيَةِ عَلَى التَّعْجِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَهَا: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ**﴾ **[الرَّحْمَنُ:35]**، أَيْ: سَتَمْتَنِعَانِ مِن النَّفَاذِ، بَلْ يَسُوقُكُمْ إِلَى الْمَحْشَرِ[125].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ[126] رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: لَا تَسْتَطِيعُونَ هَرَبًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ حُكْمِهِ، وَلَا النُّفُوذِ عَنْ حُكْمِهِ فِيكُمْ، أَيْنَمَا ذَهَبْتُمْ أُحِيطَ بِكُمْ، وَهَذَا فِي مَقَامِ الْمَحْشَرِ، الْمَلَائِكَةُ مُحْدِقَةٌ بِالْخَلَائِقِ، سَبْعَ صُفُوفٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الذَّهَابِ»[127].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَمَلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ عَلَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ إِشَارَةً إِلَى إِمْكَانِيَّةِ الصُّعُودِ إِلَى الْقَمَرِ![128]، قَالَ الدُّكْتُورُ فَهْدُ خَلِيلِ زَايِدٍ: «وَتُشِيرُ هَذِهِ الْآيَةُ فِي وُضُوحٍ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُوتِيَ السُّلْطَانَ؛ وَهُوَ الْقُوَّةُ مَعَ الْعِلْمِ الذِي يُكْتَشَفُ بِهِ أَسْرَارُ الْكَوْنِ، رَغْمَ أَنَّهُ تَمَكَّنَ بِوَاسِطَةِ سُلْطَانِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ قَبْضَةِ جَذْبِ الْأَرْضِ، فَيَسْبَحُ عَبْرَ الْفَضَاءِ الْخَارِجِيِّ، فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا النَّفَاذَ[129] إِلَى أَقْطَارِ السَّمَاءِ إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ»[130].

وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ نَظَرٌ؛ مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ مُصَادِمٌ لِلْمَنْقُولِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ[131].

الثَّانِي: أَنَّ الْآيَةَ تَحْكِي مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَدْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، فَأَخْرَجَ الْآيَةَ عَنْ سِيَاقِهَا، وَالسِّيَاقُ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظَرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَتِهِ[132].

الثَّالِثُ: أَنَّهُ حَمَلَ الْأَمْرَ فِيهَا عَلَى مَعْنَى الْخَبَرِ، لَا عَلَى التَّعْجِيزِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَرَائِنُ؛ التِي مِنْهَا[133]:

1- أَنَّ اللهَ ذَكَرَ مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مُجْتَمِعَيْنِ؛ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ **[الْإِسْرَاءُ:88]**.

2- أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ ظَاهِرٌ فِي التَّحَدِّي، كَمَا جَاءَ فِي نَظِيرِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ **[الْأَنْعَامُ:35]**.

3- ذِكْرُ «**إِنْ**» فِي ﴿**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ دُونَ «**إِذَا**» التِي تَدُلُّ عَلَى وُقُوعِ الشَّرْطِ بِخِلَافِ «**إِنْ**».

* وَحَمْلُ الْأَمْرِ عَلَى مَعْنَى الْخَبَرِ فِي الْآيَةِ بَعِيدٍ، يَتَنَاقَى مَعَ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ؛ إِذْ يَصِيرُ التَّقْدِيرُ: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَسَتَنْفُذُونَ!!»، وَهَذَا لَا مَعْنَى لَهُ؛ إِذْ لَا مَعْنَى أَنْ تَقُولَ مَثَلًا: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكْتُبَ فَسَتَكْتُبُ! أَوْ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقْرَأَ فَسَتَقْرَأُ!! وَهَذَا غَايَةٌ فِي الرَّكَاكَةِ، يُنَزَّهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ أَنْ يَتَضَمَّنَ مِثْلَهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْغَرَضُ الثَّالِثَ عَشَرَ: التَّهْدِيدُ.

التَّهْدِيدُ فِي اللُّغَةِ: التَّخْوِيفُ[134] وَالْوَعِيدُ[135].

وَهُوَ فِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ: إِبْلَاغٌ مَعَ تَخْوِيفٍ[136]، أَوْ: تَخْوِيفٌ بِمُصَاحَبَةِ وَعِيدٍ مُبَيَّنٍ أَوْ مُجْمَلٍ[137].

وَيَكُونُ الْأَمْرُ دَالًّا عَلَى التَّهْدِيدِ؛ إِذَا دَلَّ الطَّلَبُ عَلَى تَسَخُّطِ الْإِتْيَانِ بِالْمَأْمُورِ بِهِ[138].

وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ لِلْأَمْرِ وَبَيْنَ التَّهْدِيدِ هِيَ التَّضَادُّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا وَقَدْ يَكُونُ مَنْدُوبًا، وَالْمُهَدَّدُ عَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَرَامًا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَكْرُوهًا[139].

قَالَ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ[140] فِي «**الْإِبْهَاجِ**»: «كَذَا قِيلَ، وَعِنْدِي: أَنَّ الْمُهَدَّدَ عَلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَرَامًا، وَكَذَلِكَ الْإِنْذَارُ، وَكَيْفَ وَهُوَ مُقْتَرِنٌ بِالْوَعِيدِ؟ بَلْ قَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَبَائِرَ هِيَ الْمُتَوَعَّدُ عَلَيْهَا»[141].

وَمَا قَالَهُ السُّبْكِيُّ هَهُنَا عَيْنُ الصَّوَابِ؛ فَإِنَّ التَّهْدِيدَ لَا يَتَوَجَّهُ لِلْمَكْرُوهِ، بَلْ هُوَ خَاصٌّ بِالْحَرَامِ.

* **الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ **[فُصِّلَتْ:40]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾؛ فَإِنَّ «اعْمَلُوا» فِعْلُ أَمْرٍ لَا يُرَادُ بِهِ حَقِيقَتُهُ؛ بَلْ يُرَادُ بِهِ التَّهْدِيدُ[142].

وَالْقَرِينَةُ[143] هِيَ ظُهُورُ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ أَمْرَهُمْ بِكُلِّ عَمَلٍ شَاؤُوا بِأَنْ يَكُونُوا هَمَلًا، وَلِقَوْلِ اللهِ بَعْدَهُ: ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾؛ فَإِنَّهُ وَعِيدٌ لَهُمْ بِالْمُجَازَاةِ[144].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهْدِيدِ، أَوْ فِي الْإِغْرَاءِ الْمُكَنَّى بِهِ عَنِ التَّهْدِيدِ. وَجُمْلَةُ: ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ وَعِيدٌ بِالْعِقَابِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْكِنَايَةِ»[145].

ثَانِيًا: قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾ **[الذَّارِيَاتُ:43]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**تَمَتَّعُوا**﴾ فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهْدِيدِ؛ إِذِ الْمَعْنَى: «﴿**وَفِي**﴾ إِهْلَاكِ ﴿**ثَمُودَ**﴾ آيَةٌ ﴿**إِذْ قِيلَ لَهُمْ**﴾ بَعْدَ عَقْرِ النَّاقَةِ: ﴿**تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾ إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ، كَمَا فِي آيَةِ ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**﴾ **[هُودٌ:65]**»[146].

وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى ظَاهِرٌ فِي التَّهْدِيدِ.

وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْحِينِ الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، كَالْفَخْرِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ إِذْ قَالَ: «قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: الْمُرَادُ مِنْهُ هُوَ مَا أَمْهَلَهُمُ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ قَتْلِهِمُ النَّاقَةَ، وَكَانَتْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ تَتَغَيَّرُ أَلْوَانُهُمْ فَتَصْفَرُّ وُجُوهُهُمْ وَتَسْوَدُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ **[الذَّارِيَاتُ:44]** بِحَرْفِ الْفَاءِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعُتُوَّ كَانَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿**تَمَتَّعُوا**﴾، فَإِذَنِ الظَّاهِرُ: أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنَ الْآجَالِ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مُمَهَّلٌ مُدَّةَ الْأَجَلِ، [كَأَنَّهُ] يَقُولُ لَهُ: تَمَتَّعْ إِلَى آخِرِ أَجَلِكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ حَصَلَ لَكَ التَّمَتُّعُ فِي الدَّارَيْنِ، وَإِلَّا فَمَا لَكَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»[147].

وَصَرَّحَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ بِأَنَّ الْأَمْرَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ لِلْإِبَاحَةِ[148].

وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ فِيهِ إِشْكَالٌ:

أَمَّا حَمْلُ الْأَمْرِ عَلَى التَّهْدِيدِ؛ فَيَرِدُ عَلَيْهِ الِاعْتِرَاضُ الذِي ذَكَرَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ.

وَأَمَّا حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى الْإِبَاحَةِ؛ فَيَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّ الْأَمْرَ مُوَجَّهٌ لِلْعُمُومِ: الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ[149]، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يُوَجَّهُ لِلْكُفَّارِ مُرَادًا بِهِ الْإِبَاحَةُ، بِدَلِيلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ **[الْأَعْرَافُ:32]**.

وَالْأَقْرَبُ: هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ؛ وَهُوَ حَمْلُ الْأَمْرِ عَلَى مَعْنَى التَّهْدِيدِ؛ وَيُجَابُ عَنِ اعْتِرَاضِ الرَّازِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ؛ بِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾، مَعْنَاهُ: تَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا إِلَى وَقْتِ انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ، وَلَكِنَّ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّهْدِيدِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِبَاحَةِ[150].

وَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى التَّهْدِيدِ؛ لِأَنَّ التَّمَتُّعَ[151] جَاءَ مَذْمُومًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ[152]، إِلَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ حَصَلَ فِيهَا الْخِلَافُ، فَالْأَوْلَى: حَمْلُ النَّظِيرِ عَلَى نَظِيرِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْغَرَضُ الرَّابِعَ عَشَرَ: الْإِهَانَةُ.

وَالْإِهَانَةُ لُغَةً: هِيَ جَعْلُ الشَّخْصِ صَغِيرَ الْأَمْرِ لَا يُبَالَى بِهِ[153]، وَالشَّيْءُ الْهَيِّنُ: الْحَقِيرُ[154].

وَفِي اصْطِلَاحِ الْبَلَاغِيِّينَ: إِظْهَارُ مَا فِيهِ تَصْغِيرُ الْمُهَانِ وَقِلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِهِ[155].

وَتُسْتَعْمَلُ صِيغَةُ الْأَمْرِ مُرَادًا بِهَا الْإِهَانَةُ فِي مَقَامِ عَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِشَأْنِ الْمَأْمُورِ[156].

*** الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ **[يسٓ:63-64]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اصْلَوْهَا**﴾ أَيِ: احْتَرِقُوا بِهَا الْيَوْمَ وَرِدُوهَا[157]؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْإِهَانَةِ وَالتَّهَكُّمِ بِهِمْ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْأَمْرُ بِقَوْلِهِ: ﴿**اصْلَوْهَا**﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِهَانَةِ...

وَ﴿**اصْلَوْهَا**﴾ أَمْرٌ مِنْ «صَلِيَ» «يَصْلَى»؛ إِذَا اسْتَدْفَأَ بِحَرِّ النَّارِ، وَإِطْلَاقُ «الصَّلْيِ» عَلَى الْإِحْرَاقِ تَهَكُّمٌ»[158].

فَفِي ﴿**اصْلَوْهَا**﴾ دَلَالَتَانِ: دَلَالَةٌ عَلَى الْإِهَانَةِ، وَأُخْرَى عَلَى التَّهَكُّمِ، وَالتَّهَكُّمُ مُقَارِنٌ لِلْإِهَانَةِ عَادَةً، وَعَلَيْهِ فَلَا مَانِعَ مِنِ اجْتِمَاعِهِمَا.

ثَانِيًا: قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ **[الدُّخَانُ:49]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذُقْ﴾؛ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ الْإِهَانَةُ[159]؛ وَالْقَرِينَةُ: كَوْنُ الْكَافِرِ حَالَ الْخِطَابِ بِالصِّيغَةِ فِي غُصَصِ الْمَذُوقِ وَمِحَنِهِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَمْرَهُ بِذَوْقِ الْعَذَابِ، وَإِلَّا كَانَ تَحْصِيلَ حَاصِلٍ، وَهُوَ مُحَالٌ لِذَاتِهِ[160].

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يُحْمَلُ الْأَمْرُ عَلَى الْإِهَانَةِ، وَقَدْ وَرَدَ بَعْدَهَا: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾؛ فَالْجَوَابُ مَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهَكُّمِ بِعَلَاقَةِ الضِّدِّيَّةِ، وَالْمَقْصُودُ عَكْسُ مَدْلُولِهِ، أَيْ: أَنْتَ الذَّلِيلُ الْمُهَانُ، وَالتَّأْكِيدُ لِلْمَعْنَى التَّهَكُّمِيِّ»[161].

الْغَرَضُ الْخَامِسَ عَشَرَ: الْإِكْرَامُ.

هُوَ ضِدُّ الْإِهَانَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ **[الْحَجُّ:18]**، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ[162]:

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤٌ نَفْسَهُ فَلَا أَكْرَمَ اللهُ مَنْ أَكْرَمَهْ

وَالْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ مُحَكَّمٌ هَاهُنَا فِي الْمَدْلُولِ الِاصْطِلَاحِيِّ.

*** الْأَمْثِلَةُ:**

أَوَّلًا: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**﴾ **[قّ:31-34]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**ادْخُلُوهَا**﴾، فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ الْإِكْرَامُ؛ وَالْقَرِينَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**بِسَلَامٍ**﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْإِكْرَامِ، وَلَا وَجْهَ لِحَمْلِهِ عَلَى الْوُجُوبِ[163].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا الْإِذْنُ مِنْ كَمَالِ إِكْرَامِ الضَّيْفِ أَنَّهُ إِنْ دُعِيَ إِلَى الْوَلِيمَةِ أَوْ جِيءَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ قِيلَ لَهُ: ادْخُلْ بِسَلَامٍ»[164].

وَقَالَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَبْدُ الْمُعْطِي عَرَفَةَ: «وَهَذَا الْأُسْلُوبُ شَائِعٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَنَحْنُ نَقُولُ لِلضَّيْفِ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ: «كُلْ وَاشْرَبْ»، وَأَحْيَانًا نُقْسِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ، وَلَا نَقْصِدُ مِنْ هَذَا الْأُسْلُوبِ إِلَّا زِيَادَةً فِي كَرَمِهِ، وَتَرْجَمَةً عَمَّا نُكِنُّ لَهُ مِنَ الِاحْتِرَامِ وَالسُّرُورِ بِضِيَافَتِهِ وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، فَهَذَا الْأُسْلُوبُ تَصْوِيرٌ لِخَلَجَاتِ النَّفْسِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تُحِبُّ الضَّيْفَ وَتَهِشُّ لَهُ»[165].

ثَانِيًا: قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ **[الْمُرْسَلَاتُ:41-43]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا**﴾ فَإِنَّهُمَا فِعْلَا أَمْرٍ، الْغَرَضُ مِنْهُمَا: الْإِكْرَامُ، وَالْقَرِينَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْإِكْرَامِ، وَلَا وَجْهَ لِحَمْلِهِ عَلَى الْوُجُوبِ -كَسَابِقِهِ-.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ: كَرَامَتُهُمْ بِعَرْضِ تَنَاوَلِ النَّعِيمِ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُضِيفُ لِضُيُوفِهِ»[166].

الْغَرَضُ السَّادِسَ عَشَرَ: التَّكْذِيبُ.

التَّكْذِيبُ مَصْدَرُ: «**كَذَّبَ**»؛ لِأَنَّ «**التَّفْعِيلَ**» مَصْدَرٌ لِـ «**فَعَّلَ**»، وَيَأْتِي «فَعَّلَ» لِمَعَانٍ، الْمُنَاسِبُ هُنَا هُوَ: نِسْبَةُ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِ الْفِعْلِ[167]؛ فَكَذَّبَهُ أَيْ: نَسَبَهُ إِلَى الْكَذِبِ.

وَالْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ مُحَكَّمٌ هَاهُنَا فِي الْمَعْنَى الِاصْطِلَاحِيِّ.

* **مِثَالُهُ:**

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **[الْجُمُعَةُ:6]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَتَمَنَّوُا**﴾؛ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ، يُرَادُ بِهِ التَّكْذِيبُ.

وَالْقَرِينَةُ الْمَانِعَةُ مِنَ الْحَقِيقَةِ: ظُهُورُ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ أَمْرَهُمْ أَنْ يَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ تَكْذِيبُهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ قَرِينَةٌ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا[168].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، وَهَذَا إِلْجَاءٌ لَهُمْ حَتَّى يَلْزَمَهُمْ ثُبُوتُ شَكِّهِمْ فِيمَا زَعَمُوهُ.

وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَتَمَنَّوُا**﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْجِيزِ: كِنَايَةٌ عَنِ التَّكْذِيبِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **[آلُ عِمْرَانَ:93]**»[169].

الْغَرَضُ السَّابِعَ عَشَرَ: التَّوْبِيخُ.

وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: الْمَلَامَةُ[170]، وَالتَّقْرِيعُ بِالذَّنْبِ[171].

وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْغَرَضِ فِي اسْتِعْمَالَاتِ الْبَلَاغِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ.

* **مِثَالُهُ:**

قَوْلُ اللهِ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿**فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**﴾ **[النَّبَأُ:30]**.

وَالشَّاهِدُ: ﴿**فَذُوقُوا**﴾، فَهُوَ فِعْلُ أَمْرٍ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّوْبِيخِ[172].

وَالْقَرِينَةُ الْمَانِعَةُ مِنَ الْحَقِيقَةِ: ظُهُورُ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ أَمْرَهُمْ بِذَوْقِ الْعَذَابِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ تَقْرِيعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَتَوْبِيخُهُمْ؛ زِيَادَةً فِي عَذَابِهِمْ وَحَسْرَتِهِمْ[173].

قَالَ الْعَلَّامَةُ جَمَالُ الدِّينِ الْقَاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَاكَ؛ تَقْرِيعًا وَغَضَبًا وَتَأْنِيبًا لَهُمْ مِنْ تَخْفِيفِ الْعَذَابِ، وَإِعْلَامًا بِمُضَاعَفَتِهِ»[174].

الْفَرْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: الدَّوَامُ.

قَالَ الرَّاغِبُ: «أَصْلُ الدَّوَامِ: السُّكُونُ، يُقَالُ: دَامَ الْمَاءُ، أَيْ: سَكَنَ، وَمِنْهُ: دَامَ الشَّيْءُ: إِذَا امْتَدَّ عَلَيْهِ الزَّمَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾ **[الْمَائِدَةُ:117]**، ﴿**إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**﴾ **[آلُ عِمْرَانَ:75]**، ﴿**لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا**﴾ **[الْمَائِدَةُ:24]**»[175].

وَمُرَادُ الْبَلَاغِيِّينَ بِالدَّوَامِ هَاهُنَا[176]: هُوَ الِاسْتِمْرَارُ عَلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ.

وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ لِلْأَمْرِ وَبَيْنِ الدَّوَامِ: هُوَ اشْتِرَاكُهُمَا فِي مُطْلَقِ الطَّلَبِ.

*** مِثَالُهُ:**

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ **[الْأَحْزَابُ:1]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اتَّقِ**﴾ فَإِنَّهُ فِعْلُ أَمْرٍ يُرَادُ بِهِ الدَّوَامُ[177]؛ إِذِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّقٍ لِرَبِّهِ، فَأَمْرُهُ بِالتَّقْوَى لَيْسَ لِتَحْصِيلِ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا وَقْتَ الطَّلَبِ، بَلْ لِلِاسْتِمْرَارِ وَالدَّوَامِ عَلَى التَّقْوَى.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الْأَمْرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**اتَّقِ اللَّهَ**﴾ وَالنَّهْيَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ مُسْتَعْمَلَانِ فِي طَلَبِ الِاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا هُوَ مُلَازِمٌ لَهُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ»[178].

وَيُمْكِنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى دَلَالَةِ الدَّوَامِ: دَلَالَةُ الِازْدِيَادِ، كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو السُّعُودِ بِقَوْلِهِ: «وَالْمُرَادُ بِالتَّقْوَى الْمَأْمُورِ بِهِ الثَّبَاتُ عَلَيْهِ وَالِازْدِيَادُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ بَابًا وَاسِعًا وَعَرَضًا عَرِيضًا لَا يُنَالُ مَدَاهُ»[179].

وَعَلَيْهِ؛ فَيَكُونُ فِيهِ اسْتِعْمَالٌ لِلَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْهِ، وَهُوَ جَائِزٌ عِنْدَ الْأَكْثَرِ[180].

الْفَرْعُ التَّاسِعَ عَشَرَ: الْخَبَرُ.

سَبَقَ تَعْرِيفُ الْخَبَرِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا.

وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ دَلَالَةِ الْأَمْرِ الْحَقِيقِيَّةِ وَبَيْنَ دَلَالَتِهِ عَلَى الْخَبَرِ: التَّضَادُّ؛ إِذِ الْخَبَرُ مُضَادٌّ لِلْإِنْشَاءِ، وَالْأَمْرُ فَرْدٌ مِنَهُ[181].

*** مِثَالُهُ:**

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ **[الْعَنْكَبُوتُ:12]**.

وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِه: ﴿**وَلْنَحْمِلْ**﴾؛ فَإِنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَقْرُونٌ بِلَامِ الْأَمْرِ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ: الْخَبَرُ[182]، أَيِ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَنَحْنُ نَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ[183].

وَالْقَرِينَةُ: هُوَ تَكْذِيبُ مَقَالَتِهِمْ بِـ: ﴿**وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ فِيهِ مَدْخَلٌ.

وَالْفَائِدَةُ مِنْ إِخْرَاجِ الْخَبَرِ فِي صُورَةِ الْأَمْرِ: تَنْزِيلُ الشَّيْءِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ -وَهُوَ حَمْلُ خَطَايَا أَتْبَاعِهِمْ- مَنْزِلَةَ الْمَفْرُوضِ الْمُلْزَمِ بِهِ[184]؛ إِمْعَانًا فِي إِضْلَالِهِمْ.

هَذَا مَا تَيَسَّرَ عَرْضُهُ مِنَ الْمَعَانِي الْمَجَازِيَّةِ لِلْأَمْرِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا[185]، يَصْعُبُ حَصْرُهَا أَوْ يَتَعَذَّرُ، وَالْغَرَضُ *هَاهُنَا هُوَ التَّمْثِيلُ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.*

الْخَاتِمَةُ:

بَعْدَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْعِلْمِيَّةِ مَعَ الْأَمْرِ وَدَلَالَاتِهِ؛ نَخْلُصُ إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ هَذَا الْبَحْثِ؛ مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَنَّ الْبَحْثَ فِي الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ يُحَتِّمُ عَلَى الْبَاحِثِ التَّهَيُّؤَ بِفُنُونٍ كَثِيرَةٍ، كَعِلْمِ التَّفْسِيرِ وَقَوَاعِدِهِ، وَالْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَالْقِرَاءَاتِ، وَعُلُومِ اللُّغَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اسْتِكْنَاهَ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ -فِي كَثِيرٍ مِنْ صُوَرِهَا- وَجْهٌ مِنْ أَوْجُهِ بَيَانِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ، وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ مُحْتَاجٌ لِطَائِفَةٍ مِنَ الْعُلُومِ تَكُونُ خَادِمَةً لَهُ، وَبِقَدْرِ الْإِخْلَالِ بِهَذِهِ الْفُنُونِ يَكُونُ الْإِخْلَالُ فِي الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

ثَانِيًا: التَّعْرِيفُ الْمَشْهُورُ لِلْأَمْرِ: «**طَلَبُ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعْلَاءِ**» تَعْرِيفٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَتَرِدُ عَلَيْهِ اعْتِرَاضَاتٌ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُعَرَّفَ الْأَمْرُ بِأَنَّهُ: «**قَوْلٌ يَتَضَمَّنُ طَلَبُ فِعْلٍ غَيْرِ كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بِغَيْرِ نَحْوِ «كُفَّ»**».

ثَالِثاً: أَغْرَاضُ الْأَمْرِ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ فِي مَا ذَكَرَهُ الْبَلَاغِيُّونَ؛ إِذْ يُمْكِنُ اسْتِخْرَاجُ أَغْرَاضٍ لَمْ يَنُصُّوا عَلَيْهَا.

رَابِعًا: مَا ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ مِنْ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **يَامَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ**﴾ **[الرَّحْمَنُ:33]** فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى صُعُودِ النَّاسِ إِلَى الْقَمَرِ! أَمْرٌ يُعَارِضُهُ الْمَنْقُولُ مِنْ تَفَاسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَسِيَاقُ الْآيَاتِ، وَهُوَ قَوْلٌ يَتَنَافَى مَعَ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

الهوامش:

(1) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ السَّرَخْسِيُّ، يُكْنَى بِـ: أَبِي بَكْرٍ، وَيُلَقَّبُ بِـ: شَمْسِ الْأَئِمَّةِ: قَاضٍ، مُجْتَهِدٌ، مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْحَنَفِيَّةِ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: الْمَبْسُوطُ، وَهُوَ كِتَابٌ مِنْ مَفَاخِرِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ، أَمْلَاهُ وَهُوَ سَجِينٌ بِالْجُبِّ، وَلَهُ: الْأُصُولُ، وَشَرْحُ مُخْتَصَرِ الطَّحَاوِيِّ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (315/5).

(2) **أُصُولُ السَّرَخْسِيُّ** (ص11).

(3) يُنْظَرُ: **الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ** (21/1).

(4) أَخْرَجَهُ **أَبُو دَاوُدَ** فِي سُنَنِهِ (رَقْمُ الْحَدِيثِ:145)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ فِي **بَيَانِ الْوَهْمِ وَالْإِيهَامِ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ** (220/5).

(5) يُنْظَرُ: **تَاجُ الْعَرُوسِ** (69/10).

(6) يُنْظَرُ: **الْكُلِّيَّاتُ** (ص177).

(7) يُنْظَرُ: **الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ** (21/1).

(8) يُنْظَرُ: **تَاجُ الْعَرُوسِ** (69/10).

(9) يُنْظَرُ: **الْكُلِّيَّاتُ** (ص177).

(10) هُوَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكَةَ الْخَثْعَمِيُّ، كَمَا فِي: **الْحَيَوَانُ** (39/3).

(11) هُوَ أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى الْحُسَيْنِيُّ الْكَفَوِيُّ، يُكْنَى بِـ: أَبِي الْبَقَاءِ، قَاضٍ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 1094م، مِنْ كُتُبِهِ: الْكُلِّيَّاتُ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (38/2).

(12) يُنْظَرُ: **الْكُلِّيَّاتُ** (ص177-178).

(13) يُنْظَرُ: **شَرْحُ التَّلْخِيصِ لِلْبَابَرْتِيِّ** (ص361).

(14) **شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ لِلسَّعْدِ** (308/2-309).

(15) وَسَنَذْكُرُ التَّعْرِيفَ الْمُخْتَارَ بَعْدَ ذِكْرِ الِاعْتِرَاضِ الثَّانِي عَلَى التَّعْرِيفِ الْمَشْهُورِ لِلْأَمْرِ.

(16) يُنْظَرُ: **الْمَحْصُولُ** (30/2-33).

(17) يُنْظَرُ: **شَرْحُ مُخْتَصَرِ الرَّوْضَةِ** (350/2).

(18) وَلَا الْعُلُوِّ.

وَالْمَسْأَلَةُ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: اشْتِرَاطُ الِاسْتِعْلَاءِ فَقَطْ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: اشْتِرَاطُ الْعُلُوِّ فَقَطْ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: اشْتِرَاطُهُمَا مَعًا.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: عَدَمُ اشْتِرَاطِهِمَا مَعًا، وَهُوَ الصَّحِيحُ -لِمَا تَقَدَّمَ-.

وَأَشَارَ إِلَى هَذَا صَاحِبُ **مَرَاقِي السُّعُودِ** -الْعَلَّامَةُ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَلَوِيُّ الشِّنْقِيطِيُّ- بِقَوْلِهِ:

وَلَيْسَ عِنْدَ جُلِّ الْأَذْكِيَاءِ شَرْطُ عُلُوٍّ فِيهِ وَاسْتِعْلَاءِ

يُنْظَرُ: **مَرَاقِي السُّعُودِ إِلَى مَرَاقِي السُّعُودِ** (ص146-148).

(19) يُنْظَرُ: حَاشِيَةُ الْعَطَّارِ عَلَى شَرْحِ الْجَلَالِ الْمَحَلِّيِّ عَلَى جَمْعِ الْجَوَامِعِ (464/1)، سُلَّمُ الْمَطَالِعِ لِدَرْكِ الْكَوْكَبِ السَّاطِعِ (ص174-175).

(20) يُنْظَرُ: بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ (77/1).

(21) لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الطَّلَبِ وَلَا يَقْبَلُ يَاءَ الْمُخَاطَبَةِ وَلَا نُونَ التَّوْكِيدِ -فِي لُغَتِهِمْ-؛ وَهَذَا هُوَ حَدُّ اسْمِ فِعْلِ الْأَمْرِ.

(22) يُنْظَرُ: مُجِيبُ النِّدَا فِي شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى (ص44-45).

(23) يُنْظَرُ: الْجَدْوَلُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (66/29).

(24) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ الْغَرْنَاطِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِـ: أَبِي حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيُّ، نَحْوِيٌّ، مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ، وُلِدَ سَنَةَ 654هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 745هـ، مِنْ كُتُبِهِ: الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، النَّهْرُ -اخْتَصَرَ بِهِ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ-، مَنْهَجُ السَّالِكِ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ، الْمُبْدِعُ فِي التَّصْرِيفِ.

يُنْظَرُ: الْأَعْلَامُ (152/7).

(25) الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ (459/9).

(26) الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ (340/5).

(27) يُنْظَرُ: الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ (194/1).

(28) يُنْظَرُ: الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ (ص315).

(29) يُنْظَرُ: تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ (ص626).

(30) وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ هَهُنَا.

يُنْظَرُ: قَوَاطِعُ الْأَدِلَّةِ فِي الْأُصُولِ (49/1).

(31) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ نَفْسُهُ.

(32) يُنْظَرُ: شُرُوحُ التَّلْخِيصِ (320/2).

(33) التَّضَرُّعُ: التَّذَلُّلُ.

يُنْظَرُ: الْعَيْنُ (270/1).

(34) يُنْظَرُ: إِعْرَابُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ (88/7).

(35) يُنْظَرُ: بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ (271/2).

(36) يُنْظَرُ: التَّحْبِيرُ شَرْحُ التَّحْرِيرِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ (2193/5).

(37) يُنْظَرُ: تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ (975/3).

(38) أَيْ: صِيغَةُ الْأَمْرِ.

(39) أَيْ: فِي طَلَبِ الْفِعْلِ.

(40) بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ (271/2).

(41) مَقَايِيسُ اللُّغَةِ (435/5)، وَيُنْظَرُ: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (157/3).

(42) يُنْظَرُ: تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ (175/7).

(43) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (194/8).

(44) يُنْظَرُ: الْعَيْنُ (242/6)؛ تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (220/11).

(45) يُنْظَرُ: الْمُسْتَصْفَى (ص205)؛ إِرْشَادُ الْفُحُولِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ مِنْ عِلْمِ الْأُصُولِ (254/1).

(46) أَيْ: يُسْتَعْمَلُ أَحَدُهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ.

(47) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقُمِّيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِـ نِظَامِ الدِّينِ؛ مُفَسِّرٌ، لَهُ اشْتِغَالٌ بِالْحِكْمَةِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، تُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَةِ 850هـ، مِنْ كُتُبِهِ: غَرَائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغَائِبُ الْفُرْقَانِ، شَرْحُ الشَّافِيَةِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (216/2).

(48) يُنْظَرُ: **غَرَائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغَائِبُ الْفُرْقَانِ** (37/6).

(49) يُنْظَرُ -مَثَلًا-: **الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ** (259/9)؛ **فَتْحُ الْقَدِيرِ** لِلشَّوْكَانِيِّ (565/4)؛ **تَفْسِيرُ الْمَرَاغِيِّ** (73/24).

(50) يُنْظَرُ: **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (18/29).

(51) يُنْظَرُ: **دَفْعُ الْمِحْنَةِ عَنْ قَارِئِ مَنْظُومَةِ ابْنِ الشِّحْنَةِ** (ص59-60).

(52) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، يُكْنَى بِـ أَبِي الْوَلِيدِ، ويُلَقَّبُ بِـ مُحِبِّ الدِّينِ، وَيُعْرَفُ بِـ ابْنِ الشِّحْنَةِ الْحَلَبِيِّ؛ فَقِيهٌ حَنَفِيٌّ، مُشَارِكٌ فِي الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، وُلِدَ سَنَةَ 749هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 815هـ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: رَوْضُ الْمَنَاظِرِ فِي عِلْمِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، الرِّحْلَةُ الْقَسْرِيَّةُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، الْمُوَافَقَاتُ الْعُمَرِيَّةُ لِلْقُرْآنِ الشَّرِيفِ، مِائَةُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (44/7).

(53) يُنْظَرُ: **نَوْرُ الْأَفْنَانِ فِي شَرْحِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ** (ص117).

(54) **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (18/29).

(55) لِأَنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ اتِّفَاقًا، وَمُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِهَا -عَلَى الصَّحِيحِ-.

يُنْظَرُ: **أَنْوَارُ الْبُرُوقِ فِي أَنْوَاءِ الْفُرُوقِ** (104/1)؛ **الْقَوَاعِدُ وَالْفَوَائِدُ الْأُصُولِيَّةُ وَمَا يَتْبَعُهَا مِنَ الْأَحْكَامِ الْفَرْعِيَّةِ** (ص76).

(56) يُنْظَرُ: **الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ** (88/2).

(57) وَيَصِحُّ فِي ضَبْطِهَا: «الْمَشْوَرَة»، وَالضَّبْطُ الْمَذْكُورُ أَعْلَاهُ هُوَ الْفَصِيحُ.

يُنْظَرُ: **طِلْبَةُ الطَّلَبَةِ** (ص127).

(58) يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (ص40).

(59) يُنْظَرُ: **مُعْجَمُ مَقَالِيدِ الْعُلُومِ فِي الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ** (ص40).

(60) هُوَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّيْسَابُورِيُّ الْقُشَيْرِيُّ، يُكْنَى: أَبَا الْقَاسِمِ، وَيُلَقَّبُ بِـ زَيْنِ الْإِسْلَامِ، شَيْخُ خُرَاسَانَ فِي عَصْرِهِ زُهْدًا وَعِلْمًا، وُلِدَ سَنَةَ 376هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 465هـ، مِنْ كُتُبِهِ: التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ، لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ، الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (57/4).

(61) **لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ** (36/3).

(62) يُنْظَرُ: **مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ** (603/2).

* **وَالنَّسَفِيُّ**: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ، يُكْنَى: أَبَا الْبَرَكَاتِ، وَيُلَقَّبُ: حَافِظَ الدِّينِ؛ فَقِيهٌ حَنَفِيٌّ، مُفَسِّرٌ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 710هـ، مِنْ كُتُبِهِ: مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ، كَنْزُ الدَّقَائِقِ، كَشْفُ الْأَسْرَارِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (4/67-68).

(63) يُنْظَرُ: **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (19/263-264).

(64) يُنْظَرُ: **تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ** (ص604).

(65) يُنْظَرُ: **مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ** (491/7).

* وَالْقَاسِمِيُّ: هُوَ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِيُّ الْحُسَيْنِيُّ؛ إِمَامُ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ عِلْمًا وَتَضَلُّعًا مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ، وُلِدَ سَنَةَ 1283هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 1332هـ، مِنْ كُتُبِهِ: مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ، الْفَتْوَى فِي الْإِسْلَامِ، تَنْبِيهُ الطَّالِبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ، إِصْلَاحُ الْمَسَاجِدِ مِنَ الْبِدَعِ وَالْعَوَائِدِ، قَوَاعِدُ التَّحْدِيثِ مِنْ فُنُونِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (135/2).

(66) يُنْظَرُ: **تَفْسِيرُ الْمَرَاغِيِّ** (136/19).

* وَالْمَرَاغِيُّ: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُصْطَفَى الْمَرَاغِيُّ، مُفَسِّرٌ مِصْرِيٌّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 1371هـ، مِنْ كُتُبِهِ: الْحِسْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ، الْوَجِيزُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، تَفْسِيرُ الْمَرَاغِيِّ، عُلُومُ الْبَلَاغَةِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (258/1).

(67) يُنْظَرُ: **الْكَشَّافُ** (54/4).

(68) يُنْظَرُ -مَثَلًا-: **مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ** (350/26)؛ **تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ** (ص71).

(69) **إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ** (200/7).

(70) هُوَ يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيُّ الْعَلَوِيُّ الطَّالِبِيُّ؛ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الزَّيْدِيَّةِ وَعُلَمَائِهِمْ فِي الْيَمَنِ، وُلِدَ سَنَةَ 669هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 745هـ، مِنْ كُتُبِهِ: نِهَايَةُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ، الطِّرَازُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَعُلُومِ حَقَائِقِ الْإِعْجَازِ، تَصْفِيَةُ الْقُلُوبِ عَنْ أَدْرَانِ الْأَوْزَارِ وَالذُّنُوبِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (143/8-144).

(71) **الطِّرَازُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَعُلُومِ حَقَائِقِ الْإِعْجَازِ** (93/3)، (203/3).

(72) وَإِنَّمَا خُصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصُورَةِ الْخِطَابِ؛ تَشْرِيفًا وَإِكْرَامًا لَهُ.

يُنْظَرُ: **شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ** (204/2).

(73) يُنْظَرُ: **مَرَاقِي السُّعُودِ إِلَى مَرَاقِي السُّعُودِ** (ص199).

(74) **الطِّرَازُ لِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ وَعُلُومِ حَقَائِقِ الْإِعْجَازِ** (93/3).

(75) يُنْظَرُ: **النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ** (367/4).

(76) يُنْظَرُ: **بُحُوثٌ مَنْهَجِيَّةٌ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ** (ص249).

(77) يُنْظَرُ: **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (123/18).

(78) يُنْظَرُ: **تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ** (ص53-54).

(79) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ بَهَادِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الزَّرْكَشِيُّ، يُكْنَى: أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَيُلَقَّبُ بِـ: بَدْرِ الدِّينِ؛ أُصُولِيٌّ، فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ، وُلِدَ سَنَةَ 745هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 794هـ، مِنْ كُتُبِهِ: الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، الْإِجَابَةُ لِإِيرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ، إِعْلَامُ السَّاجِدِ بِأَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (60/6-61).

(80) وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ النَّمْلَةُ فِي كِتَابِهِ: **الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ** (1330/3).

(81) **الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ** (278/3).

(82) هُوَ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ الْعَطَّارُ، أُصُولِيٌّ، مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ، وُلِدَ سَنَةَ 1190هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 1250هـ، لَهُ حَوَاشٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْأُصُولِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (220/2).

(83) يُنْظَرُ: **حَاشِيَةُ الْعَطَّارِ عَلَى شَرْحِ الْمَحَلِّيِّ عَلَى جَمْعِ الْجَوَامِعِ** (470/1).

(84) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (435/29).

(85) يُنْظَرُ مَثَلًا: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (221/27).

وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، يُنْظَرُ: التَّبْصِرَةُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ (ص20)؛ شَرْحُ الْوَرَقَاتِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ لِلْمَحَلِّيُّ (ص137).

(86) يُنْظَرُ: تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص65).

(87) يُنْظَرُ: الْكُلِّيَّاتُ (ص32).

(88) يُنْظَرُ: شَرْحُ التَّلْخِيصِ لِلْبَابَرْتِيِّ (ص362).

(89) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ، إِمَامُ الْمُفَسِّرِينَ، وَعُمْدَةُ الْمُؤَرِّخِينَ، وُلِدَ سَنَةَ 224هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 310هـ ، مِنْ تَصَانِيفِهِ: جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، أَخْبَارُ الْمُلُوكِ وَالرُّسُلِ، اخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ.

يُنْظَرُ: الْأَعْلَامُ (69/6).

(90) يُنْظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ (635/18).

(91) يُنْظَرُ: الْإِبْهَاجُ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ (18/2).

(92) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (68/18).

(93) يُنْظَرُ: تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص52).

(94) يُنْظَرُ: نِهَايَةُ السُّولِ شَرْحُ مِنْهَاجِ الْوُصُولِ (ص161).

(95) يُنْظَرُ: التَّقْرِيرُوَالتَّحْبِيرُ (308/1)؛ التَّحْبِيرُشَرْحُ التَّحْرِيرِ (2246/5).

(96) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ، أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ، نَحْوِيٌّ لُغَوِيٌّ، وُلِدَ سَنَةَ 241هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 311هـ، مِنْ كُتُبِهِ: مَعَانِي الْقُرْآنِ، الِاشْتِقَاقُ، خَلْقُ الْإِنْسَانِ، الْمُثَلَّثُ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ.

يُنْظَرُ: الْأَعْلَامُ (40/1).

(97) يُنْظَرُ: مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (172/5).

(98) وَالْمَقْصُودُ بِالْإِذْنِ: مُطْلَقُهُ؛ فَيَدْخُلُ فِيهِ مَا لَوْ كَانَ الْمَأْمُورُ بِهِ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا أَوْ مُبَاحًا، كَمَا يُدْرَكُ ذَلِكَ بِالْمِثَالِ الذِي سَيَأْتِي -﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ﴾ [الْمُزَّمِّلُ:4]-.

(99) يُنْظَرُ: الْكُلِّيَّاتُ (ص32).

(100) يُنْظَرُ: الْبَلَاغَةُ فُنُونُهَا وَ أَفْنَانُهَا (عِلْمُ الْمَعَانِي) (ص150).

(101) يُنْظَرُ: الْكَشَّافُ (636/4)؛ الدُّرُّ الْمَصُونُ (516/10).

(102) يُنْظَرُ: مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ (555/3).

(103) يُنْظَرُ: غَايَةُ السُّولِ فِي خَصَائِصِ الرَّسُولِ (ص95).

(104) يُنْظَرُ: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ (ص1297).

(105) يُنْظَرُ: بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ (270/2).

(106) يُنْظَرُ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ (205/28)؛ التَّسْهِيلُ لِمَعَانِي التَّنْزِيلِ (311/2).

(107) يُنْظَرُ: مِنْ بَلَاغَةِ النَّظْمِ الْعَرَبِيِّ (80/2).

(108) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (44/27).

(109) يُنْظَرُ: تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص59).

(110) يُنْظَرُ: إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ (6/9)؛ التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (30/29).

(111) جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ (511/23).

(112) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (30/29).

(113) يُنْظَرُ: الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ (389/2).

(114) يُنْظَرُ: الْكُلِّيَّاتُ (ص147).

(115) يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (149/7).

(116) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (114/21).

(117) يُنْظَرُ: تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص71).

(118) تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، (ص163).

(119) يُنْظَرُ: تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، (884/3)؛ الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، (ص516).

(120) يُنْظَرُ: بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ (270/2).

(121) يُنْظَرُ: التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ (274/2).

(122) يُنْظَرُ: إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ (78/8)؛ مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ (437/8).

(123) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (9/26).

(124) يُنْظَرُ: الدُّرُّ الْمَصُونُ (170/10)؛ الْجَوَاهِرُ الْحِسَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (352/5)؛ تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ (ص710)؛ رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي (111/14)؛ التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (258/27-259)؛ تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ (ص830).

(125) يُنْظَرُ: تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ (ص710).

(126) هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ، أَبُو الْفِدَاءِ الْقُرَشِيُّ، حَافِظٌ مُحَدِّثٌ مُفَسِّرٌ فَقِيهٌ، وُلِدَ سَنَةَ 700هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 774هـ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، اخْتِصَارُ عُلُومِ الْحَدِيثِ.

يُنْظَرُ: الْأَعْلَامُ (320/1).

(127) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (496/7).

(128) وَلَيْسَ الْكَلَامُ هَاهُنَا عَنْ حَقِيقَةِ الصُّعُودِ إِلَى الْقَمَرِ، وَإِنَّمَا فِي دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ.

(129) كَذَا فِي الْمَطْبُوعِ! وَصَوَابُهُ: النَّفَاذَ -بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ-.

(130) الْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (ص93-94).

(131) يُنْظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ (42/23-44)؛ الدُّرُّ الْمَنْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ (701/7).

(132) يُنْظَرُ: بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ (9/4).

(133) يُنْظَرُ: مَجْمُوعُ فَتَاوَى وَرَسَائِلِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين (324/5).

(134) يُنْظَرُ: تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ (556/2).

(135) يُنْظَرُ: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (93/4)، تَاجُ الْعَرُوسِ (339/9).

(136) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ لِلسَّعْدِ (314/2).

(137) يُنْظَرُ: مَوَاهِبُ الْفَتَّاحِ فِي شَرْحِ تَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ (314/2).

(138) يُنْظَرُ: شَرْحُ التَّلْخِيصِ لِلْبَابَرْتِيِّ (ص362).

(139) يُنْظَرُ: تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص57).

(140) هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيٍّ السُّبْكِيُّ، يُكْنَى بِـ أَبِي الْحَسَنِ، وَيُلَقَّبُ بِـ تَقِيِّ الدِّينِ، مُفَسِّرٌ أُصُولِيٌّ، وُلِدَ سَنَةَ 683هـ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 756هـ، مِنْ كُتُبِهِ: الدُّرُّ النَّظِيمُ، الْإِغْرِيضُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيضِ، السَّيْفُ الْمَسْلُولُ عَلَى مَنْ سَبَّ الرَّسُولَ، الِابْتِهَاجُ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ.

يُنْظَرُ: **الْأَعْلَامُ** (41/302-303).

(141) **الْإِبْهَاجُ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ** (2/18).

(142) يُنْظَرُ: **جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ** (21/478)؛ **نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ** (17/200)؛ **تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ** (ص635)؛ **إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ** (8/15).

(143) يُنْظَرُ: **تَشْحِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ** (ص56-57).

(144) يُنْظَرُ: **أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ** (5/72).

(145) **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (24/305).

(146) **تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ** (ص695).

(147) **مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ** (28/185).

(148) يُنْظَرُ: **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (27/13).

(149) كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الرَّازِيِّ الذِي سَبَقَ قَرِيبًا.

(150) يُنْظَرُ: **زَادُ الْمَسِيرِ** (4/172).

وَفِي هَذَا إِشْكَالٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْكَلَامُ قَبْلَ عَقْرِهِمُ النَّاقَةَ؛ فَمَا سَبَبُهُ وَهُمْ لَمْ يَعْصُوا بَعْدُ؟ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ بَعْدَ عَقْرِهِمُ النَّاقَةَ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدُ: ﴿**فَعَتَوْا**﴾؟

إِلَّا إِذَا قِيلَ: إِنَّهُ قِيلَ لَهُمْ ﴿**تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِنَبِيِّ اللهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِعَدَمِ مَسَاسِ النَّاقَةِ بِسُوءٍ فَلَمْ يَمْتَثِلُوا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَعَتَوْا**﴾! وَلَمْ أَقِفْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى، فَلَا أَجْرُؤُ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ دُونَ إِمَامٍ مُعْتَبَرٍ قَالَ بِهِ قَبْلُ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ لَا يُمْكِنُنَا -الْآنَ- الْجَزْمُ بِأَحَدِ الْغَرَضَيْنِ السَّابِقِ ذِكْرُهُمَا، وَالْقَصْدُ مِنْ إِيرَادِ الْآيَةِ مُجَرَّدُ الْمِثَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(151) أَمَّا «**التَّمَتُّعُ**» بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ؛ فَلَيْسَ هُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى.

(152) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾ **[إِبْرَاهِيمُ:30]**، ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾ **[مُحَمَّدٌ:12]**، ﴿**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ**﴾ **[الْمُرْسَلَاتُ:46]**.

(153) يُنْظَرُ: **الْفُرُوقُ اللُّغَوِيَّةُ** (ص32).

(154) يُنْظَرُ: **أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ** (2/383).

(155) يُنْظَرُ: **مَوَاهِبُ الْفَتَّاحِ فِي شَرْحِ تَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ** (2/317).

(156) يُنْظَرُ: **بُغْيَةُ الْإِيضَاحِ** (2/270).

(157) يُنْظَرُ: **جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ** (20/543).

وَ«رِدُوهَا» فِعْلُ أَمْرٍ مِنْ «وَرَدَ، يَرِدُ»، وَالْأَمْرُ مِنْهُ: رِدْ، وَأَمْرُ الْجَمْعِ: رِدُوا؛ كَـ: وَصَلَ، يَصِلُ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ: صِلْ، وَأَمْرُ الْجَمْعِ: صِلُوا.

(158) **التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ** (32/49).

([159]) يُنْظَرُ: النُّكَتُ وَالْعُيُونُ (258/5).

([160]) يُنْظَرُ: تَشْجِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص55).

([161]) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (316/25).

([162]) ذَكَرَهُ الزَّبِيدِيُّ فِي تَاجِ الْعَرُوسِ (337/33) غَيْرَ مَنْسُوبٍ.

([163]) يُنْظَرُ: تَشْجِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص54).

([164]) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (320/26).

([165]) مِنْ بَلَاغَةِ النَّظْمِ الْعَرَبِيِّ (86/2).

([166]) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (443/29).

([167]) يُنْظَرُ: شَذَا الْعَرْفِ فِي فَنِّ الصَّرْفِ (ص34).

([168]) يُنْظَرُ: تَشْجِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص69).

([169]) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (216/28).

([170]) يُنْظَرُ: الْعَيْنُ (315/4).

([171]) يُنْظَرُ: جَمْهَرَةُ اللُّغَةِ (1018/2).

([172]) يُنْظَرُ: التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (42/30).

([173]) وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ أَشَدُّ آيَةٍ فِي شِدَّةِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ.

يُنْظَرُ: تَيْسِيرُالْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِكَلَامِ الْمَنَّانِ (906).

وَوَرَدَ هَذَا مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَلَكِنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ الزَّيْلَعِيُّ فِي تَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِالْوَاقِعَةِ فِي تَفْسِيرِالْكَشَّافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ (145/4).

وَرُوِيَ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، كَمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ (ص318، رَقْمُ الْحَدِيثِ:579)، وَضَعَّفَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الْفَوَائِدِ (133/7).

([174]) مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ (392/9).

([175]) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ (ص322).

([176]) وَلَمْ نَقِفْ لَهُ عَلَى تَعْرِيفٍ، وَلَكِنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ، كَمَا يُفْهَمُ مِنِ اسْتِعْمَالَاتِهِمْ.

([177]) يُنْظَرُ: تَفْسِيرُالْجَلَالَيْنِ (ص549)؛ مُذَكِّرَةُ أُصُولِ الْفِقْهِ عَلَى رَوْضَةِ النَّاظِرِ (ص71).

([178]) التَّحْرِيرُوَالتَّنْوِيرُ (250/21).

([179]) إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ (89/7).

([180]) يُنْظَرُ: إِرْشَادُ الْفُحُولِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ مِنْ عِلْمِ الْأُصُولِ (59/1).

([181]) يُنْظَرُ: تَشْجِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص65).

([182]) يُنْظَرُ: تَفْسِيرُالْجَلَالَيْنِ (ص522).

([183]) يُنْظَرُ: الْأُصُولُ مِنْ عِلْمِ الْأُصُولِ (ص17).

([184]) يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ السَّابِقُ نَفْسُهُ.

([185]) يُنْظَرُ: تَشْجِيذُ الْأَفْهَامِ فِي إِطْلَاقَاتِ الْأَمْرِوَالنَّهْيِ وَالِاسْتِفْهَامِ (ص50-71).

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊